البيان في الدفاع عن القرآن

دراسة استطلاعية تحليلية لحملات الهجوم
على جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن
الكريم بالمملكة العربية السعودية

تقديم

أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي

الأمين العام لمجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

إعداد

سلمان بن محمد العُمَري

الرياض
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ح سلمان بن محمد العُمري ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العُمري، سلمان بن محمد
البيان في الدفاع عن القرآن./ سلمان محمد العُمري —
الرياض، ١٤٢٦هـ
١٦٦ص ؛ ٢٤ سم
ردمك: X-٥١٤-٤٧-٩٩٦٠
١- القرآن — مباحث عامة ٢- القرآن — دفع مطاعن أ. العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٢٦/١١١٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/١١١٣
ردمك: X-٥١٤-٤٧-٩٩٦٠

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْـوَمُ ﴾

(سورة الإسراء : ٩)

إهـــــداء

إلى أهل الله ..

الموعودين بالخيرية في الدنيا ..

والجنة في الآخرة ..

إلى حفظة القرآن الكريم

والعاملين في مناشط تحفيظه ..

والداعمين لها ..

تقديـــم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى الـــنور ، والصـــلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعـــالمين ، يـــتلو عليهم آيات ربهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فالقرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ ، وهو منهاج حياة المسلمين ، متى تمسكوا به عَزّوا وسادوا ، ومتى انصرفوا عنه هانوا وذلوا، والوقائع والأحداث التاريخية تؤكد أن أمة الإسلام بلغت أرقى درجات السموّ والسؤدد ، وشيّدت أعظم الحضارات ، عندما فقهت القرآن الكريم ووعت تعاليمه، وجعلته نبراس حياتها، وضعفت وهانت عندما انصرفت عنه، وأهملت حفظه وتحفيظه والعمل به، وانساقت وراء مذاهب وأفكار وضعية قاصرة .

فالقـــرآن الكـــريم يهدي للتي هي أقوم ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

أَجْـــراً كَـــبِيراً ﴾ (١) ، ففيه الهداية والسلام ، والنجاة من الفتن والضلال ، والعصمة من الزلل والشقاء في الدنيا والآخرة .

قال - تعالى - : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾ (٢) ، وهو المخرج من ظلمات الجهل والتخلف والشرك إلى رحاب العـــلم والإيمـــان والتوحيد ، قال - تعالى - : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣) .

وقـــد تكفّل الخالق - جل وعلا - بحفظه ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) ، وقَيَّضَ له منذ أن نزل به الروح الأمين جـــبريل عليه السلام على الرسول ﷺ ، رجالاً تفانوا في حفظه في الصدور، وتفانوا في تعليمه وتدريسه والعمل به ابتغاء مرضاة الله، وطلباً للاتصاف بالخيريّة التي وعـــد بهـــا الرســـول ﷺ في الحديث الشريف : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن وَعَلَّمَهُ » (٥) .

وقـــيض له أيضاً من المؤمنين من يجمعونه من صدور الحفظة الأوائل ، من دون أدنى زيـــادة أو نقصـــان ، فلم يمسه تحريف أو تصريف ، تَصْدَحُ بآياته

---

(١) (الإسراء : ٩) .
(٢) (طه : ١٢٣) .
(٣) (إبراهيم : ١) .
(٤) (الحجر : ٩) .
(٥) أخـــرجه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب فضائل القرآن - باب خيركم من تعـــلم القـــرآن وعلمه) (٥٠٢٧) ، و« الترمذي » في « جامعه » في (كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في تعليم القرآن) (٢٩٠٧) من حديث « عثمان » رضي الله عنه .

الألسنة في الصلاة ، وترتقي به المنازل في الجنة ، وتتضاعف بقراءته الحسنات ، كلُّ حرف منه بعشر ، للماهر بتلاوته أن يكون مع السفرة الكرام البررة ، وللمتعتع في قراءته أجران .

وفي بلادنا المباركة - التي شُرِّفت بأنها مهبط الوحي ومهد الرسالة ، حرص ولاة الأمر - حفظهم الله - على توفير كل ما من شأنه العناية بالقرآن الكريم ، وأسمى صور هذه العناية تطبيق تعاليمه في أمور الحياة ، وتحكيم نصوصه وآياته فيما يَعِنّ من قضايا ومسائل ، إلى جانب تشجيع حفظه وتلاوته وتفسيره وتدارسه ، ونشره ، فكانت جمعيات ومدارس التحفيظ المنتشرة في طوال البلاد وعرضها ثمرة طيبة لهذه العناية ، يتخرّج فيها الآلاف من الحفظة والحافظات سنويًا ، الذين تتضاعف بهم خيريّة المجتمع بأسره ، وتقوم على أكتافهم مناشط الدعوة ، وردّ الشبه وتصحيح المفاهيم ومواجهة البدع ، دليلهم ما حفظوا من القرآن الكريم ، وما فقهوا من تعاليمه .

ومنذ القدم أدرك أعداء الإسلام مكانة القرآن الكريم ، والقوة التي يمنحها للمسلمين والأمة الإسلامية بأسرها متى استمسكت به ، فحاكوا المؤامرات للنيل من مكانته في نفوس المسلمين ، وصرفهم عنه ، فتارة يشككون في كونه من عند الله ، وتارة أخرى يشككون في جمعه وتدوينه ، وثالثة يقولون بتعارض آياته ونصوصه ، وغيرها من الأقاويل التي وَجَدَتْ - بحمد الله - مِنْ علماء الإسلام الربانيين من يدحضها ويكشف كذبها بالحجة والبرهان .

وفي الآونة الأخيرة عادت هذه المؤامرات بصورة جديدة ، وأطلق

الحـــاقدون سهامهم على جمعيات التحفيظ ومدارسه بالمملكة ، بل ومدارس المملكة عمومًا بدعوى أنها تفرِّخ الإرهاب ، وأن مناهج التعليم الديني ترسِّخ الغلـــوَّ والتطرف ، وهي دعاوى باطلة جاهلة ، يحركها حِقْد أعمى وأهداف خبيثة ، لا تختلف كثيرًا عن أهداف المؤامرات القديمة ، وإن اختلفت صورها ووسائلها ولغتها وأسلوب طرحها .

ومصيرها - بإذن الله - هو مصير سوابقها نفسه ، والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون .

فاقتـــام جمعيات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه بتفريخ الإرهاب يهـــدف إلى تعطيل مسيرتها المباركة ، وتهميش القرآن الكريم في حياة الأمة ، وبالـــتالي إضـــعافها والتمكن منها ، وكم هو مؤلم أن يسهم بعض أبناء هذا الوطن العزيز - ولو بحسن نية كما يزعمون - في الهجوم على هذه الجمعيات المباركة ويردد - بغير وعي - أقوال أعداء الأمة وبِثِقَةٍ مفرطة في أصحابها وقد بـــان عـــوار هـــذه الأقوال والدعاوى في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى المعالجـــات الهادئة ، والحلول الواعية النابعة من قناعاتنا ورؤانا ومصادرنا بما يحقق الألفة والتلاحم بين أفراد المجتمع ، ويقيه معاول الهدم والتشطير .

ومـــن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي بين أيدينا « **البيان في الدفاع عن القـــرآن** » ، والذي يُقَدِّمُ مُعِدُّهُ الأخ الأستاذ سلمان بن محمد العُمري رؤية علمية موضوعية لحقيقة الفرد المسلم في مواجهتها دفاعاً عن القرآن ، والآليات الـــتي يمكـــن مـــن خلالها الرد على ما يثار ضد جمعيات التحفيظ ومدارسه

وحلقاته .

وقـــد أحســـن المؤلف صنعًا عندما استرشد بآراء المعنيين من الأكاديميين والتربويين ورؤساء جمعيات التحفيظ وطلابها ، وعمداء الكليات ليوفر لرؤيته الشـــمولية اللازمـــة لوضع أفضل الآليات العملية القابلة للتنفيذ لمواجهة هذه الحملات .

نســـأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء على هذا الجهد المبارك المخلص ، وأن يحمي بلادنا وأمتنا من كل سوء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أ. د. محمد سالم بن شديد العوفي

الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فالقرآن الكريم كتاب الله - سبحانه وتعالى - أنزله على رسوله محمد ﷺ ، ليكون معجزته التي أعجزت أهل البلاغة والفصاحة والبيان ، فشهد كافرهم قبل مؤمنهم أنه ليس من كلام البشر ، وأن فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، تستجيب له العقول السويّة ، وتهفو إليه القلوب النقية ، وتذعن له النفوس الرضية ، لا ينكره إلا جاهل أو حاقد ، أو صاحب هوى أو غرض ، ولا يشكك في مصدره إلا من كان في قلبه مرض ، أو في عينيه رمد، أو في نفسه حسد .

والقرآن الكريم هو دستور الإسلام العاصم من الضلال والزيغ ، مصداقًا لما جاء عن الرسول ﷺ : « إني قد تركت فيكُم شيئين لن تضلُّوا بعدهما كتابَ اللهِ وسنتي » [1] .

---

(١) أخرجه « الحاكم » في « المستدرك » في (كتاب العلم - خطبته ﷺ في حجة الوداع) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فالاعتصام بالقرآن العظيم الذي هو حبل الله المتين طريق النجاة من الفتن ، والسلامة من الشدائد والمحن ، وبلوغ الدرجات العلا في الدنيا والآخرة ، وهو الفرقان بين الحق والباطل، تعهّده الخالق - سبحانه وتعالى - بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) ، وقال - جلّ وعلا - في محكم التنزيل : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (٢) ، فلم يمسّه تشويه أو تحريف ، و لم تَنْقَضِ عجائبه ، يشهد بذلك أهل العلم الذين حاروا في إعجازه وفصاحته وبلاغته في كل العلوم .

وتَمَسُّكُ المسلمين بالقرآن وعنايتُهم بحفظه وتلاوته وتفسيره دليلُ صلاح وإصلاح ، ومصدر قوة وعزّة ، وفي انصرافهم عنه خزي وهوان .

وقد وعت قيادة بلادنا الرشيدة الراشدة - المملكة العربية السعودية - ذلك ؛ من خلال استقراء أحداث التاريخ والتسليم بما جاء به الوحي المنَزَّل، فبذلت كل جهد للعناية بالقرآن الكريم ، والعمل بأحكامه في جميع أمورها وشؤونها ، وأنشأت الهيئات والمؤسسات لتدريسه وتحفيظه ونشره وطباعته وترجمة معانيه ، وأقامت المسابقات لتشجيع الناشئة والشباب على التنافس في حفظه .

ومن أبرز مظاهر هذه العناية إقامة « الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم » التي تنتشر في مناطق المملكة ومدنها ومحافظاتها وقراها جميعًا ، يشعّ

---

(١) (الحجر : ٩) .

(٢) (البروج : ٢١ - ٢٢) .

نورها في الأرجاء ، ويعم خيرها الآفاق .

وبفضل من الله – جلّ وعلا – ، ثم بدعم ولاة الأمر لهذه الجمعيات، آتت ثمارهـــا الطيـــبة ، فتخرَّج المئات بل الآلاف كل عام من حفظة كتاب الله ، وأصـــبحتَ تـــرى عشرات الآلاف ينتظمون حول موائد القرآن الكريم في حلقات المساجد ، والدور النسائية التابعة لها ، يتشرفون بوعد رسول الله ﷺ في الحديـــث النبوي : « ما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِنْ بُيوتِ الله ، يَتْلُونَ كتابَ اللهِ ، ويتدارســـونَهُ بيـــنهم ، إلاَّ نزلتْ عليهم السكينةُ ، وغشيَتْهُمُ الرحمةُ ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [1] .

ولأن القـــرآن الكـــريم هو مصدر عزّ المسلمين وقوتهم كما يشهد بذلك التاريخ ، فقد دأب أعداء الإسلام منذ القدم على الهجوم عليه ، وحَسَدَ اليهودُ المسلمينَ عليه في عهد النبي ﷺ ، فعملوا على التشكيك في كونه من عند الله وجَحَدَهُ المشركونَ فقالوا : « افتراه » – والعياذ بالله – ، وضَلَّ الزنادقة من الفلاســـفة والعلمانـــيين، فقالوا فيه ما قالوا من أباطيل ذَهَبَ زَبَدُهَا ، وبقي القـــرآن شـــامخاً عزيزاً محفوظاً بحفظ الله – سبحانه وتعالى – يهدي إلى الخير ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً .

وامـــتدادًا لـــتلك الحملات المغرضة ضد القرآن الكريم ، تعالت في الآونة الأخـــيرة أصوات منكرة ، تتهم جمعيات التحفيظ ومدارسه في بلادنا بتفريخ

---

(١) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر) ، (٢٦٩٩) .

الإرهاب ، وتكريس التطرف والغلو ، في استغلالٍ موتورٍ للأحداث السياسية على الساحتين الإقليمية والدولية ، وما وقع في بلادنا المباركة من أعمال تخريبية اقترفتها أيدي فئة ضالة ، جهلت تعاليم الإسلام ومبادئه .

وعلى الرغم من أن هذه الاتهامات الموجهة ضد جمعيات ومدارس التحفيظ لا تستند على دليل واضح فإنها - وللأسف - وَجَدَتْ بعض أبناء المجتمعات الإسلامية يسيرون في فلكها ويرددون مزاعمها نفسها .

وفي هذا الكتاب « **البيان في الدفاع عن القرآن** » نعرض بالأدلة القاطعة أن مثل هذه الحملات المأجورة لا تستهدف جمعيات ومدارس التحفيظ؛ بل تستهدف القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الغرّاء، لصرف المسلمين عنه، وفكّ عُرَى الاعتصام به، كما نعرض لآليات مواجهة هذه الحملات في ضوء تحديد أسبابها وأهدافها، من قبل الأكاديميين والتربويين ومسؤولي جمعيات التحفيظ وطلابها من البنين والبنات.

وقد ارتأينا أن يشتمل الكتاب على بيان فضل وخيرية تعليم القرآن الكريم وتعلّمه ، وعرضٍ لملامح من جهود المملكة في العناية بالقرآن الكريم ، كذلك عرض إنجازات جمعيات ومدارس التحفيظ، واعتمدنا - قدر الإمكان - منهج التحليل الكمي لآراء عمداء الكليات الجامعية ، ومديري تعليم البنين والبنات ، والمشرفين التربويين ، والمشرفات التربويات ، ورؤساء ومديري جمعيات التحفيظ، ومسؤولات الأقسام والمدارس النسائية ، بغية الوصول إلى نتائج واضحة ، وإحصائيات دقيقة تكون نواة لخطط وبرامج فاعلة لمواجهة

مثل هذه الحملات المغرضة .

وإننا ونحن نقدم هذا الجهد المتواضع ، نتقدم بكل الشكر لجميع من ساهموا معنا بالرأي من الأكاديميين والتربويين ومسؤولي جمعيات التحفيظ ، داعين الله أن يحقق ما نطمح إليه في تفعيل وسائل الدفاع عن كتاب الله العزيز ، وتعزيز ارتباط أبناء الأمة الإسلامية به ، والكمال لله وحده ، فإن كان ثمت تقصير أو نقص ، فهذا من طبيعة البشر ، وعذرنا في ذلك يقيننا بأن الخالق - جل وعلا - قد تعهد بحفظ القرآن الكريم من كل سوء ، وهو وحده القادر على ذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سلمان بن محمد العُمَري

المبحث الأول

فضل القرآن الكريم وأثره
في حياة المسلم

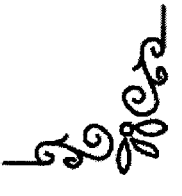

قال الله - سبحانه - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) ، وهذا غاية التكريم الإلهي لمنهج القرآن الكريم الذي جعله الله - تعالى - منهجاً للأمة في كل زمان ومكان ، هذا المنهج تعهد الله - تعالى - بحفظه، فهل بعد هذا التعهد الإلهي من تعهد ! .

وقد جعل الله - تعالى - سبل حفظ القرآن الكريم عديدة ومتنوعة ، فكان الحفظُ في الصدور أول صور الحفظ ، فكتابٌ هذه أهميته ، لا بُدَّ أن يَنَالَ مَنْ يسعى لخدمته وتحقيق حفظه عظيم الأجر والثواب ، ففضل القرآن الكريم كبير وعظيمٌ ، والله - سبحانه - تولى حفظه بنفسه ، وليس فوق حفظ الله - تعالى - حفظ ! .

قال الخالق - عز وجل - : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، فهو الهدى للذين اتقوا ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٣) .

وفي فضل القرآن أيضاً قال - سبحانه - : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٤) ، والمقصود بالشفاء ما يتجاوز المرض الجسدي إلى ما هو أخطر وأهم ، ألا وهو مرض القلب والعقل والنفس .

قال الإمام « ابن القيم » - رحمه الله - : « القرآن شفاء للنوعين من أمراض القلب (الشبهات والشهوات) ففيه من البيّنات والبراهين القطعية ما

---

(١) (الحجر : ٩) .
(٢) (البقرة : ٢) .
(٣) (الإسراء : ٩) .
(٤) (فصلت : ٤٤) .

يبين الحق من الباطل ، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك ، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية : من التوحيد ، وإثبات الصفات ، وإثبات المعاد والنبوات ، وردّ النِّحل الباطلة ، والآراء الفاسدة مثل القرآن ؛ فإنه كفيل بذلك كله ، متضمن له على أتم الوجوه ، وأحسنها ، وأقربها إلى العقول ، وأفصحها بيانًا ، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ، ولكن ذلك موقوف على فهمه ، ومعرفة المراد منه ، فمن رزقه الله - تعالى - ذلك أبصر الحق والباطل عيانًا بقلبه ، كما يرى الليل والنهار » [1] .

وقال - رحمه الله - مرشداً إلى كيفية الانتفاع بالقرآن الكريم : « إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألقِ سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به - سبحانه - منه إليه ؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [2]، فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن ، فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرؤها عن ظهر قلب » [3] .

---

(١) « إغاثة اللهفان » (١ : ٤٤) .

(٢) (ق : ٣٧) .

(٣) « الفوائد » (٣ - ٤) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في مقدمة تفسيره : « جعل الله القرآن برحمته هدى للناس عمومًا ، وللمتقين خصوصًا ، من ضلال الكفر والمعاصي والجهل ، إلى نور الإيمان والتقوى والعلم ، وأنزله شفاءً للصدور من أمراض الشبهات والشهوات ، ويحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات ، وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وآلامها وأسقامها . وأخبر أنه لا ريب فيه ، ولا شك بوجه من الوجوه ؛ وذلك لاشتماله على الحق العظيم في أخباره ، وأوامره ، ونواهيه ، وأنزله مباركًا ، فيه الخير الكثير ، والعلم الغزير ، والأسرار البديعة ، والمطالب الرفيعة ... إلخ » [1] .

ومن فضائل القرآن الكريم أن لغته العربية سامية رفيعة لا توازيها أية لغة من لغات العالم ، مهما تقلبت الأحوال ، وتعددت المفاهيم والأقوال ، حيث قال - تبارك وتعالى - في محكم تنْزيله :﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، وقال - جلّ مِنْ قائل - : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [3] .

قال الحافظ « ابن كثير » - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : « وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات ، وأبينها ، وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم النفوس ؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ،

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٢٩) .
(٢) (فصلت : ٣) .
(٣) (يوسف : ٢) .

وابـتُدئ إنـزالُه في أشـرف شهور السنة ، وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه » [1] .

وقال الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾ [2] .

وفي فضل القرآن الكريم ، قال رسول الله ﷺ – وهو أعظم مَنْ يقتدي به ويؤخذ منه – : « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه » [3] ، فعلى نحوٍ قطعيّ لا شـك فـيه ، وبوضوح لا يصل إليه ريب ، يبيّن الرسول ﷺ أنَّ خير الناس وأفضـلهم هو من تعلم القرآن وعلمه ، إلا أن نيل هذه الخيرية وهذا الثواب يشترط لـه تعلم القرآن وتعليمه لغيرنا بدءًا من أقرب الناس إلينا .

وقال ﷺ في فضل الاجتماع على مائدة القرآن : « ما اجتمع قومٌ في بيتٍ مـن بـيوتِ الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونَه بينهم ، إلا نزلت عليهم السـكينةُ ، وغشـيتهُمُ الـرحمةُ ، وحفـتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [4] .

والأمـر يسـير عـلى من يسَّرَه الله عيه ، وهذه نعمة من الله تعالى على المسلمين ، وما علينا إلا الاجتماع المبارك الميمونِ في بيت من بيوت الله تعالى

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » (٤ : ٣٦٥) .
(٢) (فاطر : ٢٩ – ٣٠) .
(٣) سبق تخريجه في صفحة (٨) .
(٤) سبق تخريجه صفحة (١٥) .

التي تزخر بها بلادنا الغالية « المملكة العربية السعودية » ، أو أي مكان طاهر يليق بكتاب الله نتلو القرآن الكريم ، ونتدارسه .

ومن فضل القرآن الكريم أن جعله الله منجاة ووقاية من الضلال والزلل ، وصدق رسول البرية - صلوات الله وسلامه عليه - عندما قال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وسنتي » [1] .

وهـذا الفضل والنفع والبركة لا تغمر قارئ القرآن وحافظه فقط بل تمتد لتشمل أهله ووالديه على وجه الخصوص ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ القرآنَ ، وعَملَ بما فيه أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تاجًا ضوؤُه أحْسَنُ من ضَوْءِ الشمسِ في بيوتِ الدنيا ، لو كانتْ فيكم ، فما ظَنُّكُم بالذي عَملَ بهذا » [2] ، فهل ثمة هدية نهديها لآبائنا أفضل من هذه ، وهل ثمة ما ينتظره الأب والأم من ولده بعد هذا ؟!

أما حافظ القرآن الكريم ، فيناله تشريف لا يعلوه تشريف ، فهو من أهل الله .

قال - عليه الصلاة والسلام - : « إنَّ لله أهلينَ من الناس ، قالوا : يا سولَ الله مَنْ هم ؟ قال : هُمْ أَهْلُ القرآنِ ، أَهْلُ اللهِ وخَاصَّتُهُ » [3] .

والآن أود الأخذ بأيديكم إلى جنة تقع بقربكم ، وبجواركم ، وإلى

---

(١) سبق تخريجه صفحة (١٣) .

(٢) رواه « أبو داود » في « سننه » في (كتاب الوتر - باب في ثواب قراءة القرآن) (١٤٥٣) .

(٣) رواه « ابن ماجه » في « سننه » في (كتاب السنة - باب فضل من تعلّم القرآن وعلّمه) (٢١٥) .

سعادة ، أدعو الله ألا تحرموها ، مَنْ منّا يرفض أن يرتع في رياض الجنة ؟ قال رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - : « إذا مَرَرْتُم برياض الجَنَّة فارْتَعُوا » قالوا : وما رياضُ الجنة ؟ قال : « حِلَقُ الذِّكْرِ » [1] .

إن حلق ومدارس تحفيظ القرآن الكريم هي رياض الجنة نفسها ، فلا نحرم أنفسنا وأهلنا وأبناءنا من رياض هي رياض الجنة ، هذا تصريح واضح نَطَقَ به مَنْ لا ينطق عن الهوى ، صلوات الله وسلامه عليه .

وأما تلك الفضائل المتعددة للقرآن الكريم ، فإن من الأهمية بمكان أن يتعود النشء على حبِّ كتاب الله الكريم ، ومعرفة فضله وأفضاله على المسلمين بعامة وناشئتهم بخاصة .

ولا شك أن حلقات التحفيظ ومدارسه تأتي على رأس مجموعة من العوامل المساعدة على تنشئة هذا الجيل تنشئة إسلامية تقوم على أساس من كتاب الله ، عز وجل .

وقد كرَّم الله تعالى أهل القرآن بفضائل عِدَّة ، لا تعلوها فضائل ، وقد ذكرنا جزءًا منها ؛ ترغيبًا وحثًا على حفظ كتاب الله الذي يعلمهم الخصال الحميدة، والأخلاق الفاضلة ، والعادات الحسنة ، التي بموجب العمل بها يضمن الإنسان - بإذن الله - سعادة الدارين ، الدنيا والآخرة .

وهذا الفضل الكبير الذي تناله الأمة وأفرادها بحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده وتفسيره يجعل من أهم الواجبات على الأمة الإسلامية أن تهتم بنشر حفظ القرآن وفقهه وتجويده ، وأن تُعينَ المؤمنين على معرفة معانيه وأحكامه ، من المؤكد أن التعليم في الصغر يكون أثبت وأكثر دواماً ، فالذاكر عندما

---

(١) رواه « الترمذي » في « جامعه » في (كتاب الدعوات - باب حديث في أسماء الله الحسنى ...) (٣٥١٠) .

تكون صفحاتها بيضاء تكون أكثر استعداداً لقبول ما يوجبه إليها ، وتسجيل ما يوضع فيها .

اهتمام الآباء بتعليم الأبناء كتاب الله تعالى :

ينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن ، منذ الصغر ، وذلك ليتوجّها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم ، وأن هذا كلامه - تعالى - ، وتسري روح القرآن في قلوبهم ، ونوره في أفكارهم ، ومداركهم ، وحواسهم ، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر ، وأن ينشآ ويشبَّا على محبة القرآن ، والتعلق به والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن مناهيه ، والتخلق بأخلاقه ، والسير على منهاجه ، قال الحافظ السيوطي : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام ؛ فينشؤون على الفطرة ، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها ، وسوادها بأكدار المعصية والضلال .

فإذا ارتبط قلب الولد بالقرآن وفتح عينيه على آياته ، فإنه لن يعرف مبدأً يعتقده سوى مبادئ القرآن الكريم ، ولا تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولا بلسماً لروحه ، وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن، فعندئذ يصل الأب إلى غايته المرجوة في تكوين ولده التكوينَ الروحي ، وإعداده إيمانيًا وخلقيًا .

ولقد أثبتت الدراسات التي اعتمدت المنهج العلمي أن حفظة كتاب الله الكريم هم من المتفوقين دراسيًا ، وهذا عكس ما يقوله بعض المرجفين من أن الالتحاق بحلقات الذكر والتحفيظ يُعد عائقاً دراسياً ، فقد ثبت أنه حافز وداعم للدراسة والتحصيل العلمي ، حيث أثبتت تلك الدراسات وجود علاقة إيجابية بين حفظ القرآن الكريم ، وإجادة دراسه لكثير من المهارات اللغوية ، مثل مهارة القراءة ، والكتابة ، وغيرها ، كما أن هذه الدراسات أثبتت أن

دراسة القرآن الكريم وحفظه يعملان على شحذ الذاكرة والذهن ، حيث إن حافظ القرآن الكريم أسرع بديهة ، وأقوى ذاكرة من غيره ، يضاف إلى ذلك أن تـــلاوة القرآن الكريم وحفظه يحققان للطالب الخشوع القلبي والاطمئنان النفسي الذي يساعد على استقرار عواطفه ، وتوجيهها الوجهة السليمة ، مما يحمـــيه مـــن الانحراف ، ويرفع همته نحو الوصول إلى المعالي ، كما أن حفظ القرآن الكريم ينمي ملكات الفهم والاستيعاب والإبداع لدى الطالب ، وقد أكدت إحدى الدراسات وجود علاقة إيجابية كبيرة بين حفظ الطالب القرآن الكـــريم ، وارتفـــاع مستوى تحصيله في المواد الشرعية الأخرى ، وخصوصًا التفسير ، وهذا بالطبع ناتج عن اشتمال القرآن الكريم على جميع أمور الدين من أحكام فقهية ، وقصص ، ومواعظ ، وحقائق إلهيّة ثابتة ، ترفع من حصيلة الطالب الشرعية ، وتزيد في ثقافته العامة [1] .

(١) « العلاقـــة بين حفظ القرآن الكريم ومهارات القراءة والكتابة للصف الرابع الابتدائي ، و« أثر الالتحاق بجماعة تحفيظ القرآن على التحصيل الدراسي في مادة التفسير ... » .

المبحث الثاني

دلائل العناية بالقرآن الكريم
في بلاد الحرمين الشريفين

ان بلاد الحرمين الشريفين منذ نشأتها الأولى في العصر الحديث وظهور إمام الدعوة الإصلاحية الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاضده مع الإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - وهي تعظّم الوحيين الكتاب والسنة وتعتمد عليهما في المنهج والاستدلال وتدعو إلى ذلك ، إدراكاً من ولاة الأمر - حفظهم الله - أنه لا يصلح للعباد إلا ما أنزله ربهم إليهم إتباعًا لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

وبالتالي فإن حلقات تحفيظ القرآن ومدارسه الموجودة في المملكة العربية السعودية تعدُّ - بحقّ - واحدة من المظاهر البيِّنة ، والأدلة الواضحة على اهتمام أولي الأمر - حفظهم الله - بغرس قيم الإسلام في نفوس أبناء المملكة ، وعلى عنايتهم بالقرآن الكريم وتشجيع أبناء الأمة على حفظه وتدبر معانيه .

ويمكن الوقوف على بعض دلائل عناية المملكة بالقرآن الكريم وهي دلائل يحق لنا معها أن نقول : إن المملكة - وبكل فخر - هي (دولة القرآن الكريم) من دون أدنى مبالغة ، نظير ما تقدمه وتبذله من أعمال جليلة مباركة للقرآن الكريم وحفظته في مختلف المجالات في داخل المملكة وخارجها ، ومن

---

(١) (الحشر : ٧) .

(٢) (النحل : ٦٤) .

هذه الدلائل :

١- الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم :

أنشئت أول جمعية لتحفيظ القرآن الكريم في رمضان المبارك عام ١٣٨٢ هـ بمكة المكرمة مهبط الوحي ، واستهدفت العناية بتعليم كتاب الله تعالى للناشئة في المساجد ودور العلم ، وذلك بجهود ومشاركات أهل الخير والمحسنين من أبناء هذا البلد الكريم ، ثم انتشرت هذه الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في شتى ربوع المملكة العربية السعودية ، وتوسعت أعمالها .

ومن هذا المنطلق ، احتضنت الدولة - وفقها الله - هذه الجمعيات ، ورعتها ماديًا ومعنويًا ، فخصصت لها إعانة سنوية مجزية ، ومنحتها الأراضي التي تقيم عليها المباني بمساحة إجمالية تبلغ ألفين وخمس مئة متر مربع لكل جمعية ، رغبة في تقويتها ، وتحقيق مقاصدها ، فضلاً عما يقوم به أهل الخير من الراغبين في خدمة كتاب الله ، سواء بالعمل التطوعي في هذه الجمعيات ، أم بتقديم التبرعات ، والهبات ، وإقامة الأوقاف لها ، ويتبع بعض هذه الجمعيات معاهد متخصصة في علوم القرآن الكريم ، مثل المعهد التابع لجمعية التحفيظ بالرياض ، ومعهد الشاطبي بتحفيظ جدة .

٢ - مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة :

يُعَدُّ إنشاء المجمع من أَجَلّ الأعمال التي وفق الله - جَلَّ وعلا - خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - للقيام

بهـــا ، حيث اعتنى بطباعة المصحف الشريف ، وتوزيعه بمختلف الإصدارات والروايات بين المسلمين في شتى أرجاء المعمورة ، واعتنى بترجمة معاني القرآن الكـــريم إلى كثير من اللغات العالمية ، وطباعة كتب السنة والسيرة النبوية ، استشـــعاراً مـــنه - حفظه الله - لأهمية خدمة القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لذلك العمل الجليل ، وقد وضع - أيَّـــده الله - حجر الأساس للمجمع في عام ١٤٠٣هـــ ، وافتتحه - رعاه الله - في السادس من شهر صفر عام ١٤٠٥هـــ .

وقـــد حقق المُجَمع إنجازاً كبيراً في الإنتاجية ، إذ بلغ مجموع ما أنتجه من مختلف إصدارات المصحف الشريف منذ افتتاحه ، إلى نهاية العام ١٤٢٥هـــ نحو (١٩٠) مليون نسخة ، ووصل عدد الإصدارات التي أنتجها المجمع إلى أكـــثر مـــن (١٦٠) إصداراً موزعة بين مصاحف كاملة وأجزاء وترجمات وتسجيلات وكتب وغيرها .

وبلغ مجموع ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة التي أنتجها المجمـــع (٦٠) ترجمة ، إضافة إلى جهود المجمع البارزة في مواجهة الحملات الدعائـــية المغرضـــة ضـــد القرآن الكريم من خلال تنظيم مؤتمرات وندوات متخصصة يشارك فيها خيرة العلماء المسلمين من جميع أنحاء العالم .

٣- المسابقات القرآنية المحلية والدولية ، ومنها:

- **مســـابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده وتفسيره :**

تـــنظم في رحـــاب مكة المكرمة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقـــاف والدعـــوة والإرشاد ، ابتداء من عام (١٣٩٩هـــ) ، ولا تزال تتواصل حتى الآن ، وقد بلغ إجمالي المبالغ التي أنفقتها حكومة المملكة العربية السعودية على تلك المسابقة في دوراتها الخمس والعشرين الماضية نحو (٨٥) مليـــون ريال ، بينما بلغ عدد المتسابقين الذين شاركوا بها منذ تنظيمها لأول مـــرة إلى العام ١٤٢٥هـــ (٤١٠٣) متسابقين ، فيما بلغ عدد الفائزين في فـــروع المسابقة الخمسة (٦١٢) متسابقاً ، منهم(٥٧٣) ينتمون إلى دول إســـلامية ، و(٤٠) يمـــثلون جمعيات ومنظمات ومراكز إسلامية في بلدان الأقليات والجاليات .

- **مسابقة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لحفظ القرآن الكريم بالحرس الوطني :**

انطلقت هذه المسابقة لجميع منسوبي الحرس الوطني العسكريين بالمملكة في دورتها الأولى بتاريخ ١٤٢٣/٦/٢٩هـــ .

- **مسابقة الحرس الوطني لحفظ القرآن الكريم:**

تقام مسابقة القرآن الكريم بالحرس الوطني ضمن فعاليات المهرجان الوطني للـــتراث والـــثقافة منذ العام ١٤١٣هـــ ، وكان عدد الطلاب المشاركين في الدورة الأول (٦٤) طالباً ثم ارتفع العدد بشكل تصاعدي إلى أن وصل عام ١٤٢٤هـــ إلى (٣٠٤) طـــلاب ، وشهد عام ١٤٢٤هـــ ولأول مرة مســـابقة نسائية شارك فيها (٦٤) طالبة من طالبات مدارس تحفيظ القرآن

الكريم بالحرس الوطني .

- **جائـــزة صـــاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الدولية في حفظ القرآن الكريم للعسكريين:**

أقيمت المسابقة الأولى في العام (١٤٢٢هـــ) ثم أقيمت المسابقة الثانية في العام (١٤٢٤هـــ) تحت إشراف إدارة الشؤون الدينية في القوات المسلحة ، وتـــنظم كل سنتين ، وتهدف الجائزة إلى تشجيع العسكريين من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي على حفظ كتاب الله ، وتدبر معانيه ، وإيجاد جوٍّ من الـــتعارف بين العسكريين حول مائدة القرآن الكريم ، وربطهم به ، وكذلك إبـــراز شخصـــية القـــوات المسلحة ، والصفات الإيمانية التي نشأت عليها ، والإسهام في تأكيد دور المملكة العربية السعودية في مجال خدمة كتاب الله ، وتشجيع حفظته ، وتبلغ قيمة جوائز المسابقة نحو ست مئة وخمسين ألف ريال مقدمـــة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود - حفظـــه الله - تـــوزع على الخمسة الأوائل الفائزين في كل فرع من فروع المسابقة الأربعة .

- **المسابقة المحليَّة على جائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبد العزيز آل سعود لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره للبنين والبنات :**

عرفـــت هـــذه المســـابقة فيما مضى بالمسابقة المحلية لحفظ القرآن الكريم وتجويـــده وتفسيره للبنين فقط إذ بدأ تنظيمها في العام (١٣٩٩هـــ) متزامناً

مع المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره التي تنظم منذ ذلك التاريخ في رحاب مكة المكرمة سنوياً ، وفي العام ١٤١٨هـ بادر صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بتخصيص مبلغ مليون ونصف المليون ريال من نفقته الخاصة ، تقدم لأفضل حافظ وحافظة لكتاب الله الكريم في كل منطقة من مناطق المملكة ، ووفقاً لذلك توسعت المسابقة منذ العام (١٤١٩هـ) لتشمل البنات .

وقد بدأ تنظيم المسابقة تحت اسمها الجديد - المسابقة المحلية على جائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره للبنين والبنات - في الشهر الحادي عشر من العام (١٤١٩ هـ) ، وقد بلغ عدد المشاركين في المسابقة (٥٣٣) متسابقٍ ومتسابقة منهم (٢٠٦) متسابقة ، وذلك حتى نهاية عام ١٤٢٥ هـ .

- **جائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود أمير منطقة الباحة لحفظ القرآن الكريم:**

أقيمت المسابقة لأول مرة في عام ١٤١٠هـ ولا تزال تتواصل حتى الآن ، وتهدف إلى التشجيع على حفظ القرآن الكريم وتجويده ، والمنافسة على التفوق في حفظ القرآن الكريم وتجويده ، وتكريم نخبة من حفظة كتاب الله الكريم ، وتأتي هذه الأهداف انسجاماً مع الغايات والأهداف العامة لسياسة التعليم في المملكة العربية والسعودية ، والتي نصت على النصيحة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بصيانتهما ، ورعاية حفظهما ، وتعهد علومهما ،

والعمـــل بمـــا جاء فيهما ، ويشارك في المسابقة مختلف الهيئات والمؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية ، وجمعيات البر ، وجمعيّات تحفيظ القرآن وحلقاتها بالمساجد من مختلف أنحاء منطقة الباحة .

- **مسابقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز لحفظ القرآن الكريم للأطفال المعوقين :**

تأتي مسابقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز لحفـــظ القرآن الكريم تلاوته للأطفال المعوقين لفتة كريمة من سموه ، بوصفه رئيس جمعية الأطفال المعوقين ، في العناية الرائدة بهذه الفئة من مجتمعنا ، وهي تعـــدُّ الأولى من نوعها ، حيث خصصت للأطفال المعوقين ذكوراً وإناثاً من ســـن السابعة حتى سنّ الخامسة عشر ، وذلك بهدف تشجيع هذه الفئة على حفـــظ كتاب الله تعالى ، وتدبر معانيه ، وتأهيلهم لمواكبة غيرهم من حفظة كتاب الله تعالى سَعْياً لتقوية ارتباطهم بدينهم ومجتمعهم .

وقـــد أقيمت هذه المسابقة لأول مرة في : ١٤١٧/٧/٢٦هـــ ، ولا تزال تتواصل حتى الآن .

ويتنافس المتسابقون في فروع المسابقة الثلاثة ، وهي :

الفرع الأول : المعوقون جسدياً ، والفرع الثاني : المعوقون إعاقة جسدية علوية شديدة مع صعوبات النطق ، والفرع الثالث : المعوقون عقلياً وجسدياً أو عقلياً فقط .

٤- كليات القرآن الكريم وعلومه :

جاء إنشاء الكليات والمعاهد والأقسام المتخصصة بالقرآن الكريم وعلومه المختلفة في جامعات المملكة ؛ ليكون الترجمة العملية الحية لهذا الاهتمام ، ومن هذه الكليات : كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وكذلك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة القصيم ، وغيرها من الجامعات في المملكة .

٥- مدارس تحفيظ القرآن الكريم للبنين والبنات التابعة لوزارة التربية والتعليم :

بلغ عدد مدارس تحفيظ القرآن الكريم للبنين حكومية وأهلية (٧٢٢) مدرسة ، تتوزع على المراحل الدراسية الثلاث : منها (٤٠١) مدرسة ابتدائية ، يَدْرُسُ فيها (٥٩٤٦٢) طالبٍ ، و(٢٢٧) مدرسة متوسطة ، يدرس فيها (١٨٤٧١) طالبٍ و(٩٤) مدرسة في المرحلة الثانوية يدرس فيها (٥٢٣٣) طالبٍ . بينما يبلغ عدد مدارس تحفيظ القرآن الكريم للبنات حكومية وأهلية (٧٦٩) مدرسة ، تتنوع على المراحل الدراسية الثلاث ، منها : (٤٦٤) مدرسة ابتدائية ، يدرس فيها (٦٥١٠٨) طالبة، و(١٨٨) مدرسة متوسطة ، يدرس فيها (١٦٦٩٧) طالبة ، و(١١٧) مدرسة في المرحلة الثانوية ، يدرس فيها (٨١٦٦) طالبة.

ومما يؤكد عناية الدولة - رعاها الله - بكتاب الله - عز وجل - تخصيص

مكافأة شهرية للطلاب والطالبات الملتحقين في هذه المدارس في مختلف المراحل الدراسية .

٦- وسائل الإعلام بالمملكة والاهتمام بالقرآن :

تقوم السياسة الإعلامية للمملكة على ذات المبادئ التي قامت عليها البلاد من الالتزام بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة منهجاً وسلوكاً ، ومن بين أهداف هذه السياسة إيصال صوت الحق ، ونشر الدعوة الإسلامية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بقنواتها المختلفة ، وكذا الوسائل المقروءة من صحف ومجلات ، وتحقيق التواصل المطلوب مع المسلمين في جميع أنحاء المعمورة ، وتثقيف الرأي العام في الداخل والخارج ، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم وفق ما أمر الله به - سبحانه وتعالى - في الكتاب والسنة .

ويأتي في مقدمة هذه الوسائل : إذاعة القرآن الكريم التي أسست في شهر صفر من عام ١٣٩٢هـ من خلال موجتين إذاعيتين في كل من جدة والرياض تسميان : (إذاعة القرآن الكريم) ، وقد استمرت كل منهما في العمل على نحو مستقل حتى شهر المحرم ١٤٠٣هـ ، حيث تم دمجهما في إذاعة واحدة تحت اسم (إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية) ، وتهدف هذه الإذاعة إلى خدمة القرآن الكريم وعلومه ، من خلال إذاعة آياته مجودة مرتلة ، وتقديم الأحاديث والبرامج الدينية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، التي تخدم علومهما - أيضاً - بما يربط جمهور المسلمين في شتى أصقاع الأرض بكتاب ربهم - جلّ وعلا - وسنة نبيهم ﷺ .

٧- هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة :

هـــي هيئة علمية تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، والســـنة المطهـــرة ، وتحقيقها ونشرها ، وتستهدف وضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والســـنة ، وإعـــداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة الموضوعات العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٨ - برنامج تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في العالم :

يتبع هذا البرنامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، وهو درة مضيئة تتوسط هـــذا العقـــد الفريد الذين يزين جيد هذه البلاد الطاهرة في الاعتناء بالقرآن الكـــريم ، وخدمـــته داخلياً وخارجياً ، ويهدف إلى تحفيظ القرآن الكريم ، وتصحيح تلاوته ، وتجويد قراءته ، ورفع المستوى العلمي والسلوكي لمدرّس القـــرآن الكريم وطلابه ، وتوجيههم إلى التمسك بالقيم الإسلامية ، وتطوير ســـبل تدريـــس القرآن الكريم ، وتحفيظه في الحلقات والمعاهد بكل الوسائل المـــتاحة ، ودعـــم الجمعـــيات والمعاهد القرآنية في مختلف دول العالم مادياً ومعنوياً ، وبحسب الإمكانات المتاحة .

٩- طباعة المصحف الشريف بطريقة برايل :

من مظاهر العناية بالقرآن الكريم بالمملكة طباعته بطريقة (برايل) حيث تـــبذل الدولة - وفقها الله - جهوداً طيبة متواصلة لتلبية حاجة المكفوفين من المصـــاحف المطـــبوعة بطـــريقة (بـــرايل) ، وغيرها من المطبوعات النافعة

والمفيدة .

١٠- حلقات القرآن الكريم في السجون ودُور الملاحظة :

إن اهـــتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - أيده الله - بالقرآن الكريم توسعت ، لتشمل المسجونين ومن يعيشون في دُور الملاحظة ، ويبرز ذلك في صدور الأمر السامي الكريم في عام ١٤٠٨ هـــ المتضمن إعفاء السجين الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم عن ظهر قلب في أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته ، وكذلك الأمر السامي الكريم الـــذي صـــدر في عام ١٤١١هـــ القاضي بالموافقة على توزيع حفظ القرآن الكريم على حسب مدة محكومية السجين ، بقسمة عدد الأجزاء التي يحفظها الســـجين على مجموعة عدد أجزاء القرآن الكريم ، وضرب الناتج في نصف المحكومـــية (بالأشهر) ، ويشترط لذلك ألا تقل محكومية السجين عن ستة أشهر ، وألا يقل حفظه عن جزءين ، ولا ينظر في كسور الجزء ، بل يطالب السجين بالجزء كاملاً ، وقد كان لهذه المكرمة أثر كبير في تحسين سلوك كثير من السجناء ، وتقويم أخلاقهم .

كمـــا أقامت الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم عشرات الحلقات والـــدورات لحفظ القرآن الكريم وتلاوته في السجون ، يستفيد منها كل عام مجموعـــة كبيرة من النـــزلاء ، وقد كُرِّمَ عددٌ منهم بتخفيف مدة سجنهم ، كما تم إنشاء حلقات للقرآن داخل سجون النساء أيضاً .

وقـــد بلـــغ عـــدد الدارســـين في حلقات السجون وفق إحصائية عام

(١٤٢٤/١٤٢٥هـ) (٨٣١٠) منهم (٣٥٠) دارسة ، وبلغ عدد الذين شملتهم المكرمة الملكية (١٤٣٩) منهم (٢٠) حافظة .

١١- نماذج متفرقة لعناية المملكة بالقرآن الكريم :

أولاً: قبول حافظات القرآن الكريم في كليات البنات دون النظر إلى تقديراتهنّ:

وهذا الشرط يضاف للمرة الأولى في كليات البنات تشجيعاً للحافظات من خريجات الثانوية العامة [١] .

ثانيًا : ساعات إضافية للحفظ والتلاوة في مدارس التعليم العام خارج الخطة الدراسية حيث اعتمد معالي وزير التربية والتعليم مشروع تخصيص ساعتين لحفظ القرآن الكريم وتلاوته في مدارس التعليم العام خارج الخطة الدراسية لاستغلال أوقات الفراغ في بداية أو نهاية اليوم الدراسي وفي الفسح .

ويهدف المشروع إلى إتاحة الفرصة لمن لم يتمكن من الالتحاق بمدارس تحفيظ القرآن الكريم من طلاب التعليم العام لحفظ ما تيسر من كتاب الله وفهمه ، والإسهام في رفع المستوى التحصيلي لطلاب التعليم العام في تلاوة وحفظ القرآن الكريم وإتقانه [٢] .

وقد نفِّذَ المشروع بنجاح في (١٥) إدارة تعليمية حتى الآن ، وجاءت التجربة ناجحة - بحمد الله - وذلك بعد وصول التقارير من إدارات التعليم المعنية وهي تحمل بشائر خير تتمثل في كثرة الإقبال من الطلاب والمعلمين على الحلقات القرآنية في المدارس ، وقد أشارت آخر الإحصائيات إلى أن عدد المدارس التي نفذت المشروع بلغ ما يقارب (٨٠٠) مدرسة ، وبلغ عدد

---

(١) « صحيفة الرياض » ، العدد (١٢٤١٠) .

(٢) « صحيفة الرياض » ، العدد (١٢٤١٩) .

الحلقات في المدارس ما يقارب (١٨٠٠) حلقة ، ويُدَرِّسُ فيها نحو (٤٠٠) معلم ، وبلغ عدد الطلاب المنضمين لهذه الحلقات ما يقارب (٢٤٠٠٠) طالب .

إضافة إلى أن هناك حوافز تُقَدَّم وتُمْنَحُ للطالب عند اختياره للبرنامج في السنة الدراسية بما لا يزيد عن خمس درجات مستوى حفظه ومقداره ، تضاف لإحدى مواد التربية الإسلامية على حسب اختياره .

ثالثاً : إنشاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض .

ففي ١٤٢٣/٣/١٨هـ وافق مجلس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على إنشاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض ، وتهدف إلى خدمة كتاب الله - عز وجل - ونشر هديه وعلومه بين الناس وتطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية والمهتمين بنشاطها ومتابعة الدراسات الحديثة في القرآن الكريم وعلومه ، والاستفادة منها وتيسير تبادل النتاج العلمي والتجارب العلمية في مجال اهتمامات الجمعية بين الهيئات والمؤسسات المعنية داخل المملكة وخارجها.

المبحث الثالث

حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم

أهميتها ودورها في المجتمع

تنبع أهمية حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم من أهمية ومكانة القرآن الكريم ذاته ، كتاب الله العزيز ، والمصدر الأول للشريعة ، إضافة إلى ضرورة هذه الحلقات والمدارس باعتبارها واحدة من وسائط التربية المهمة، التي تساهم في تربـــية وتعليم أبناء المجتمع ، فتعلمهم القرآن الكريم قراءةً وتجويداً وتدبراً ، وتنشئهم على تعاليمه السامية وآدابه العالية وحفظ أوقاتهم وصرفها فيما يعود عليهم وعلى الأمة الإسلامية بالخير في الدنيا والآخرة .

فالقرآن الكريم منهج حياة ، ونظام حكم ، ومصدر استلهام ، والحلقات ومـــدارس التحفيظ مظهر من مظاهر عناية الأمة بكتاب الله - تعالى - وفي ذلك اقتداء وتأسٍّ بالرسول ﷺ حيث اعتنى بالقرآن وإذاعته ونشره ، فكان - عليه الصلاة والسلام - يقرؤه على الناس على مُكْثٍ كما أمره الله تعالى - ، وكـــان يُسْـــمِعهم آياته في الخطب وفي الصلاة وفي الدروس والعِظَات وفي الدعوة والإرشاد والفتوى والقضاء .

كما كان - عليه الصلاة والسلام - يُرَغِّبُ أصحابَهُ ويحثهم على تعليمه ونشره ، وكان يرسل القُرّاء المجيدين الفقهاء إلى بلدٍ يدعون أهله إلى الإسلام ويعلمونهم كتاب الله قال « عبادة بن الصامت » : « كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل مِنَّا يُعَلِّمُهُ القرآنَ » [1] .

وكـــان يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ دوي كدويّ النحل بتلاوة القرآن ، حـــتى أمـــرهم رســـول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا بسبب تداخل

(١) رواه « أحمد » في « مسنده » (٣٧ : ٢٢٧٦٦) .

التلاوات والأصوات .

واقتداء بالرسول ﷺ كان كل عالم مسلم إذا نزل ببلد من بلاد الإسلام ، يقيم بها حلقة قرآنية ، يعلم فيها كتاب الله - تعالى - ، رغبة في الأجر العظيم الـــذي يحصل من هذا الاجتماع القرآني ، وبتتابع الأزمان تكاثرت الحلقات القرآنية ، كامتداد تاريخي طبيعي لنهج السلف الصالح في عنايتهم بكتاب ربهم - سبحانه وتعالى - .

والمـــتأمل لِسِـــيرَ عـــلماء الأمـــة يجد أنّ العناية بتعليم القرآن هي جلُّ اهتماماتهم ، ولا سيما أن ضبط التلاوة وإتقان التجويد لا تحكم إلا بالتلقي ، بمعـــنى أخـــذ القرآن مشافهة من أهل الإتقان المجيدين ، الجامعين بين الدراية والـــرواية ، والصـــدق والأمانة ، وقد كان النبي ﷺ يجتمع به جبريل - عليه السلام - في شهر رمضان من كل عام فيدارسه القرآن .

وفي ضـــوء هذا الهدي النبوي في العناية بالقرآن الكريم ، ومنهج السلف الصـــالح ، جاءت الحلقات القرآنية المعاصرة إحياء لمنهج الرسول ﷺ في تربية أبـــناء الأمـــة على مبادئ القرآن ، فقد اعتنى ﷺ بإقراء الصحابة القرآن على نفس الهيئة التي تلقاها في قراءته على جبريل - عليه السلام - والتي يتعرف في علوم القرآن الكريم والقراءات بـــ « العرض والسماع » ، ولذلك فإن إقامة حلقات ومدارس التحفيظ في المجتمع المسلم ضرورة شرعية وتربوية .

ولا شكّ أن أهمية الحلقات القرآنية تنبع من الشرف الذي أضفاه الله على أهل القرآن ، فأعلى منـــزلتهم ورفع ذكرهم ، فهم أهل الله وخاصته ، وهم

خير الناس ، كما جاء في الحديث الشريف « خيرُكُم مَنْ تعلّم القرآنَ وعلّمه » [1] .

يضاف لذلك الدور الذي يقوم به خريجو حلقات ومدارس التحفيظ من الحفظة في العناية بكتاب الله - تعالى - ونشره وتدريسه ، وغيرها من مناشط الدعوة إلى الله وتعليم العلم الشرعي ، استجابة لتوجيهات الرسول ﷺ في قوله : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً » [2] .

ويمكن لأي منصف أن يدرك أهمية حلقات ومدارس التحفيظ ، وغيرها من جهود ومناشط العناية بالقرآن الكريم في حفز الدين الصحيح والعقيدة السليمة ، وفق الأوامر الإلهية الواردة في القرآن الكريم ذاته ، الذي جعله الله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [3] ، ففيه هداية للعالمين ورحمة للمؤمنين ، وشفاء لما في صدور الناس أجمعين ، وهو الملاذ عند الفتن ، والمنقذ عند المصائب والمحن ، فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا ، وحُكْمُ ما بيننا ، « تكفّلَ اللهُ لمن قرأه واتبع ما فيه أن لا يَضِلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة » كما ورد ذلك في الأثر عن « ابن عباس » - رضي الله عنهما - [4] ، ومن تركه وهجره وأعرض عنه خسر

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٨).

(٢) رواه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل) (٣٤٦١) .

(٣) (النحل : ٨٩) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (١٥ : ٢٤٤) .

الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين، مصداقاً لقولـــه تعالى :﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى. وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (١) .

وفي السنة المطهرة نصوصٌ واضحة وقاطعة في بيان فضل التمسك بالقرآن الكـــريم ، منها قول الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع : « إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتابَ الله وسُنَّتي » (٢) .

والنصـــوص في ذلـــك كـــثيرة ، ومعلومة لكل من قرأ كتاب الله بتدبر وحضـــور قلـــب ، كما هي سنّة أولئك الأبرار من السلف الصالح الأخيار – رحمهم الله ، ورضي عنهم – الذين كانوا إذا تعلموا من القرآن الكريم عشر آيات لم يتجاوزوها ، حتى يعلموا معناها ، ويعملوا بمقتضاها ، فتعلموا بذلك العلم والعمل معاً (٣) .

وعلى ذلك فإن تعلم القرآن الكريم وتدارسه ، هو أول خطوة على طريق الاعتصام به والعمل بتعاليمه ، والتأدب بآدابه ، فالعلم بالقرآن الكريم وحفظه شرط في هذا ، إذ إن الجاهل بالشيء لا يستطيع إتيانه ، أو تدبره ، أو العمل

---

(١) (طه : ١٢٣ – ١٢٧) .

(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٣) .

(٣) « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٦ : ١٧٢) .

به ، وهذا ينطبق حتى على العلوم الدنيوية ؛ فالجاهل بالكيمياء لا يستطيع مثلاً تركيب دواءٍ شَافٍ ، والجاهل بالرياضيات لا يجيد عمليات الحساب ، وهكذا ، فما بالك بالقرآن الكريم وهو أصل العلوم جميعاً ، الجامع لكل شيء ، وهو خير الحديث وأعظم الكَلِم الشامل لكل أمور الدين والدنيا .

ولذلك فإن حلقات التحفيظ ومدارسه تعدّ من أفضل الوسائل والآليات للدعوة إلى الله وفق تعاليم القرآن الكريم والتعريف بأركان الشريعة وثوابتها ، ومقاصدها في الحفاظ على الضرورات الخمس : (الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال) [1] عن طريق فهم ما جاء في القرآن الكريم وتطبيقه ، وحماية هذه الضرورات هي الطريق الأمثل نحو التقدم والرقي والرفعة والكرامة والريادة والعِزّة والسيادة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقد قال النبي ﷺ : « إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ويضعُ به آخرين » [2] .

وقال ﷺ : « لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ ، فَهُوَ يقوم بِهِ آناءَ الليلِ ، وآناءَ النهارِ ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً ، فهو ينفقُهُ آناءَ الليل ، وآناءَ النهارِ » [3] .

وعن « أبي أمامة » - رضي الله عنه - قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

---

(١) انظر الكليات الخمس في « الفروق » (٤ : ١١٥٥) و« الذخيرة » (١٢ : ٤٧) و« الموافقات » (١ : ٣١ ، ٢ : ٢٠ ، ٦٥ ، ٥١١ ، ٣ : ٤٣٦) .

(٢) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب فضائل القرآن - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلّمه ...) (٨١٧) .

(٣) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب فضائل القرآن - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ...) (٨١٥) .

« اقْرَءُوا القرآنَ ، فإنَّهُ يأتي يَوْمَ القيامة شفيعاً لأصحابه » [1] .

وعن أم المؤمنين « عائشة » - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهـــرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البررةِ ، والذي يقرأ القرآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ له أجران » [2] .

فهـــل تهـــدف حلقات ومدارس التحفيظ إلا إلى تخريج المهرة بالقرآن ، والموعودين بالاجتماع مع السفرة الكرام البررة ؟!

وعـــن « ابـــن مسعود » - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَـــنْ قَرَأَ حَرْفاً من كتاب الله ، فله به حَسَنَةٌ ، والحَسَنَةُ بـــعَشْرِ أمثالها ، لا أقول (الم) حرفٌ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ » [3] .

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « يقال - يعني لصاحب القرآن - : اقرأ وَارْقَ وَرَتِّل كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخرِ آيةٍ تقرأُ بها » [4] .

ونخلـــص من ذلك إلى أن سُمُوّ أهداف وغايات جمعيات ومدارس تحفيظ

---

(١) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتائب فضائل القرآن - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) (٨٠٤) .

(٢) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب فضائل القرآن - باب فضل الماهر بالقرآن والذين يتعتع فيه » (٧٩٨) .

(٣) رواه « الـــترمذي » في « جامعه » في (كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر) (٢٩١٠) .

(٤) رواه « الـــترمذي » في « جامعه » في (كتاب فضائل القرآن - باب إن الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخَرِب ...) (٢٩١٤) .

القـــرآن ومترلـــتها ، تـــأتي من فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم ، والخيرات الكثيرة المترتبة على مثل هذه الاجتماعات المباركة .

ومن فضائل هذه الحلقات والمدارس القرآنية الآتي :

١- أنهـــا اجتماع على تلاوة كتاب الله ومدارسته ، والتلاوة أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء [١] .

فهي بذلك أعظم مجالس الذكر وأطيبها وأعلاها مترلة عند الله - سبحانه وتعالى - وهي الموصوفة برياض الجنة ، عن « أبي هريرة » قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مَرَرْتُم برياضِ الجَنَّةِ فارتعوا » قلت : يا رسول الله وما رياضُ الجنة ؟ قال : « المساجدُ » ، قلتُ : وما الرتْعُ يا رسول الله ؟ قال : «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » [٢] .

٢- أنها محل تَنـــزّل السكينة، وغشيان الرحمة، واجتماع الملائكة، وسببُ ذكرِ الله العبدَ في الملأ الأعلى .

فقد ورد عن النبي ﷺ : « وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله ، يَتْلُونَ كـــتابَ الله ، ويتدارسُـــونَهُ بيـــنهم ، إلا نزلتْ عليهم السكينةُ ، وغشيتهُمُ الرَّحْمَةُ ، وحفتهُمُ الملائِكَةُ ، وذَكَرَهُمُ الله فيمن عنده » الحديث [٣] .

---

(١) « الوابل الصيب من الكلم الطيّب » (١٢٢) .

(٢) رواه « الـــترمذي » في « جامعـــه » في (كتاب الدعوات - باب حديث في أسماء الله الحسنى مع ذكرها تماماً) (٣٥٠٩) .

(٣) رواه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر) (٢٦٩٩) .

٣- أنها لقاء بين خِيْرَة عباد الله في أرضه ، بين معلم ومتعلم لأقدس كتاب على الإطلاق ألا وهو القرآن الكريم ، قال ﷺ : « خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه » [١] . كما أنها لقاء بين أهل الله وخاصته، قال ﷺ : « إن لله أَهْلِيْنَ من الناسِ » قالوا : يا رسولَ اللهِ مَنْ همْ ؟ قال : « هُمْ أهلُ القرآن ، أهل الله وَخَاصَّتُهُ » [٢] .

٤- أنها تعاون على البر والتقوى ، امتثالاً لأمر الله - تعالى - ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٣] .

٥- أنها مجال عظيم من مجالات التواصي بالحق والصبر والنجاة من الخسران يوم القيامة ؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [٤] .

٦- أنها اعتصام بحبل الله ، وتمسك بالجماعة ، وأمان من الفُرْقَة ، لقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ [٥] .

٧- أنها محطات لاكتساب الأجر وتحصيل الثواب ، والتزود بالحسنات والتخفف من الخطايا ، لقوله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ حرفاً من كتاب الله ، فله به

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٨) .
(٢) سبق تخريجه صفحة (٢٤) .
(٣) (المائدة : ٢) .
(٤) (العصر : ١- ٣) .
(٥) (آل عمران ، ١٠٣) .

حسنةٌ ، والحسنةُ بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرفٌ ، ولكن ألفٌ حرفٌ ، ولامٌ حرفٌ ، وميمٌ حرفٌ » [1] .

وقد قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [2] .

٨- أنها ميدان فسيح من ميادين تزكية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، واكتساب الفضائل ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [3] .

ولاشكَّ أن القرآن الكريم أساس الهداية وصلاح النفوس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [4] .

كما أنها مظهر منشود للقدوة الحسنة أمَامَ النَّشْءِ المسلم ، هذه القدوة التي حَثَّ المولى - جل وعلا - عباده على اتباعها ، متمثلة في شخص النبي ﷺ ووُرَّاثه من العلماء العاملين ، وحُفَّاظ القرآن الكريم ومعلميه من بعده ، قال - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [5]، وقال - تعالى - : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٥٢) .
(٢) (هود : ١١٤) .
(٣) (الشمس : ٩ - ١٠) .
(٤) (الإسراء : ٩) .
(٥) (الأحزاب : ٢١) .

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [1] .

٩- أن فيها حفظاً لهذا الكتاب الكريم ، وقياماً بواجب تبليغه للناس ونشر علومه بين الأمم وشبابها ، امتثالاً لقول النبي ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » [2] .

١٠- أن فيها نجاةً من أليم المعاتبة لمن هجر القرآن الكريم يوم القيامة ، وشديد الوعيد لمن كتم العلم ، حيث قال - تبارك وتعالى - : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [3] ، وقال النبي ﷺ : « من كتم علماً مِمَّا يَنْفَعُ اللهُ به في أمرِ الناسِ ، أمْرِ الدِّينِ ، أَلْجَمَهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ بلجامٍ من النار » [4] .

١١- أن فيها أداء للواجب الشرعي الكفائي ، ورفعاً للإثم عن المسلمين عامة، بالتصدر لحفظ القرآن الكريم - أولاً - ثم لتعليمه وتحفيظه للناشئة وعموم المسلمين - ثانياً - وهذان الأمران هما من فروض الكفاية ، فإذا قام بهما قوم يبلغون حَدَّ التواتر - فلا يتطرق إلى القرآن التبديل ولا التحريف - سقط الإثم عن الباقين ، وإلا أَثِمَ الجميع .

١٢- أن حافظ كتاب الله الكريم ومعلمه داخلٌ - بلا شكٍّ - ضمن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي

---

(١) (الكهف : ٢٨) .

(٢) رواه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل) (٣٤٦١) .

(٣) (الفرقان : ٣٠) .

(٤) رواه « ابن ماجه » في « سننه » في (باب الانتفاع بالعلم والعمل به) (٢٦٥) .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] ، وذلك بجمعه بين الدعوة إلى الله ، بتعليم كتابه الكريم وتبليغ آياته ، وبين العمل الصالح المبارك ، بتعاهد القرآن ، وتدبره ، وتطبيقه منهجاً عملياً في واقع حياته ، ثم بالاهتمام بأمر المسلمين ، والتواضع لهم ، والشفقة عليهم ، وهذا منتهى الفضل وأحسن القول .

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ وملائكتَهُ وأهلَ السماواتِ والأرضينَ ، حتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا ، حتى الحوتَ ليُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ النَّاسِ الخيرَ » [2] .

١٣- أنها فرصة للترقي في درج الجنان ، بحسب القراءة من القرآن الكريم ، قال ﷺ : « يقال - يعني لصاحب القرآن - : اقرأ وارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا ، فإن مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَأُ بها » [3] .

والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة ، لقوله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَة .. » [4] .

١٤- فيها مكاسب لآباء الطلاب القُرَّاء العاملين يوم القيامة ؛ حيث يلبس تاجاً ضوؤُه أحسن من ضوء الشمس ، للحديث الوارد عن النبي ﷺ : « مَنْ قرأ القرآنَ وعَمِلَ بما فيه أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تاجاً ضَوؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في

---

(١) (فصلت : ٣٣) .

(٢) رواه « الترمذي » في « جامعه » في (كتاب العلم عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادت) (٢٦٨٥) .

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٥٢) .

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٥٢) .

بيوت الدنيا ، لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عَمِلَ بهذا » [1] .

غايات تدريس القرآن الكريم :

ثمة اتفاق بين العلماء والتربويين على أن تدريس القرآن الكريم ينطوي على غايات وأهداف كثيرة تتمايز بتمايز العمر الزمني للدارسين والمستوى العقلي والثقافي ، ومعرفة هذه الغايات و الأهداف تفيد المعلم والمتعلم ، فهي تكشف للمعلم أبعاد واجبه التربوي ، وهي بالنسبة للطالب أو المتعلم حافز يدفعه إلى مواصلة التعليم بجِدٍّ ونشاط ، ويمكن إجمال هذه الغايات والأهداف في الآتي :

١- الحصول على الأجر والثواب المترتب على تلاوته لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [2] ، وقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف » [3] .

٢- التعبد بتلاوة القرآن الكريم أو الاستماع إليه في خشوع وتدبر يزيد من الإيمان، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٤) .

(٢) (فاطر : ٢٩) .

(٣) سبق تخريجه في (٥٢) .

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٣) .

٣- توثيق الصلة بين المسلم - ولا سيما الناشئة - وكتاب الله - سبحانه وتعالى - باعتبار أن هذه الصلة عامل أساس يضمن استمرار سلامة الفطرة الإيمانية في نفس الفرد .

٤- تثبيت الإيمان بالوحدانية بمعنى الإقرار الواعي بتوحيد الألوهية والربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات التي أثبتها الله - سبحانه وتعالى - لنفسه ، ليكون ذلك مؤثراً وموجهاً للمشاعر فيحصل الالتزام بالأدب الواجب مع الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتعبد إليه - تعالى - بما أَحَبَّ وشرع .

٥- تربيةُ مَلَكَةِ التأمّل والنظر في آيات الله - سبحانه - في الأنفس والآفاق .

٦- الإيمان الصادق والتسليم المطلق بكل ما في القرآن الكريم ، أدركه

---

(١) (الأنفال : ٢) .
(٢) (العنكبوت : ٤٥) .
(٣) (النمل : ٩٢) .

العقـــل أو لم يدركه من أمور غيبية غير محسوسة ، قال – تعالى – : ﴿ ذَلِكَ الْكِـــتَابُ لاَ رَيْـــبَ فِـــيهِ هُـــدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ... ﴾ (١) .

والالتزام في النظر إلى المتشابه منه بمنهج العلماء الصادقين ، والحذر من مسلك أهل الزيغ والنفاق والكفر ، فلا تخوض النفس في متشابه القرآن بما يهلكها ويعرضها لسخط ربها – عز وجل – ، قال – تعالى – : ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، فَبَيَّنَ اللهُ – سبحانه – أنَّ الزيغ الموجود في قلوبهم هو الذي دفعهم إلى إتباع المتشابه لا لمعرفة الحق ولكن من أجل إحداث الفتنة والتحريف .

٧– الـــتعرف على أسباب ومظاهر الهداية التي ارتقت بالأمة المسلمة في العصر الأول ، وما تلاه من عصور ، والثقة بأن الأساليب نفسها تمكن الأمة المسلمة في عصرها الحاضر من الارتقاء ، وتقضي على عوامل الضعف الذي استشرى خطره ، وأن ليس على الأمة المسلمة إلا أن تحاول إعادة التجربة من جديـــد ، فتعـــبد الله مخلصـــة لـــه الدين ، وتلتزم بجميع ما جاء في الذكر

(١) (البقرة : ٢ – ٣) .
(٢) (آل عمران : ٧) .

الحكيم ، لتتبوأ مكانتها في الصدارة بين الأمم .

٨- تربية الناشئة والشباب وتوجيههم وتهذيب أخلاقهم على أساس من تربية القرآن الحقة ، لتقويم السلوك الفردي والجماعي .

٩- اكتساب القدرة على الدعوة إلى الله - تعالى - .

١٠- تكثير سواد حفاظ كتاب الله في الواقع المعاصر والمجتمع المسلم عموماً .

الأهداف التعليمية في حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم :

تمت عدد من الأهداف التعليمية التي تتحقق من خلال حلقات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- تنمية قدرة الدارسين على التلاوة الصحيحة ، وتعريفهم بالمصطلحات التي أجمع عليها أئمة القراءات المتواترة ، كذلك تعريفهم بالضوابط الثابتة في رسم المصحف ، فلا شك أن مراعاة أحكام التلاوة وإتقانها يحفظ سلامة المعنى ، ويبعد القارئ عن الوقوع في الإثم بسبب اللحن ، خصوصاً في هذا العصر الذي ضعف فيه التذوق اللغوي عند كثير من الناس ، وانتشرت العامية ، وتعددت اللهجات المحلية ، واللغات الأجنبية ، وما نراه من لحن يقع من بعض المثقفين في أثناء تلاوة القرآن - على الرغم من حصولهم على أعلى الشهادات - يرجع بلا شك إلى عدم تدريبهم في صغرهم ، أو في أثناء تلقيهم للقرآن على إتقان التلاوة والوقوف على أحكامها .

٢- تربية ملكة التذكر ، وتنمية القدرة على الاستدعاء المنظم .

٣- التعرف على خصائص الأسلوب القرآني ، ووجوه الإعجاز البياني فيه : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (١) .

٤- الفهم المستقيم لكتاب الله ، فهو يعتمد أساساً على القرآن الكريم نفسه ، فإن بعضه يفسر بعضاً ، كما يعتمد على ما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ فهو شارح أو مبين ، أو مخصص لآيات القرآن ، كما يعتمد على وجوه اللغة العربية ، فوضوح المعنى يساعد على الحفظ ، ويكون أدعى للإقبال على النص القرآني ، وشحذ القوى النفسية كلها لإتقان النص ، وتحصيل أكبر فائدة ممكنة .

٥- اكتساب العلم بالأحكام الشرعية من مصدرها الرئيس .

٦- التمكن من اللغة العربية ، ويظهر ذلك في مظاهر عِدَّة ، منها :

أ - سلامة النطق باللغة العربية :

فتلاوة القرآن تلاوة جيدة ، تحدث لدى القارئ نوعاً من الإتقان في نطق اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وليس أدل على ذلك من أن كبار الكُتَّاب ومشاهير الأدب وفطاحل اللغة ، قد تخرجوا في مدرسة القرآن الكريم ، بل أدباء كبار من غير المسلمين ذكروا أنهم يداومون على تلاوة القرآن الكريم للارتقاء بأساليبهم اللغوية وتقويم ألسنتهم .

---

(١) (النساء : ٨٢) .

ب - زيادة ثروة الإنسان من الألفاظ والأساليب :

فالذي يتلو كتاب الله ، ويردد كلامه ، ويحرص على حفظ ما أمكن منه ، وكذلك فهم ما يستطيع فهمه تُثرى ذاكرته بكلمات وألفاظ وأساليب من القرآن الكريم ، فتزداد بذلك ثروته اللغوية من الألفاظ والأساليب القرآنية ، ويستفيد منها في استعماله اللغوي والممارسة التطبيقية ، وأبسط دليل على ذلك أننا نجد محفظ القرآن الكريم على الرغم من بساطة مؤهلاته العلمية ، تتردد على لسانه ألفاظ القرآن وأساليبه في تعبيراته وتعاملاته ويملك من القدرات التعبيرية والخطابية ما لا يقدر عليه كثير من المتعلمين ممن لا عناية لهم بالقرآن الكريم ، ويَلْمَسُ ذلك كل من له علاقة به ، فهو يربي ويقوّم مَلَكَة التعبير لدى الحَفَظَة والقُدْرة على التعبير عما يجدونه من مشاعر وأحاسيس نفسية وتصورات عقلية ، كما ينمي القدرة على صياغتها وفق أصول اللغة العربية السليمة .

يتميز التعليم في الحلقات والمدارس القرآنية والاجتماع على كتاب الله بخصوصية ينفرد بها عن التعليم في وسائط التربية الأخرى ، وإن كان الاجتماع على ذكر الله ، وتعلم العلم النافع حَسَنٌ إلاّ أنّ الاجتماع لدراسة القرآن الكريم في الحلقات القرآنية أعظمُ أجراً وفضلاً .

وقد بَيَّنَ الرسول ﷺ - كما أسلفنا - هذا الفَضْلَ ، وذَكَرَ ثمرة هذا الاجتماع المبارك على مأدبة القرآن الكريم في هذه الحلقات .

ولأهمية هذا الاجتماع في حلقات القرآن ، وأثره على أفراد المجتمع ، جعل

العـــلماء له أبوابـــاً في كتبهم ، كَبابِ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في « صحيح مسلم » ، وباب « فضل الاجتماع في المسجد لدرس القرآن » في كتاب « أخلاق حملة القرآن » .

وقد روي عن النبي ﷺ - كما ذكر - « ابن تيمية » - أنه خرج على أهـــل الصَـــفَّة ، وفـــيهم واحد يقرأ وهم يستمعون ، فجلس معهم ، وكان أصـــحاب رســـول الله ﷺ إذا اجـــتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقون يستمعون .

وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن على الحفاظ من أصحابه ، قرأ على « أُبَيّ بن كعـــب » فعن « أنس بن مالك » - رضي الله عنه - : قال النبي ﷺ لأُبَيّ : « إنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عليكَ (لم يكنِ الذين كَفَروا)» قَال : وسمَّاني ؟ قال : « نَعَمْ » ، فبكى [1] .

وفي هـــذا صـــورة رائعة ، ودرس راق لتعليم الناس أهمية الاجتماع على القرآن ، والتواضع في ذلك لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنـــزلة ، ولأن أُبَيّاً - رضي الله عنه - كان أسرع أخذاً لألفاظ الرسول ﷺ ، فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ، ويقرأ كما سمع منه ويُعَلِّمَ غَيْرَهُ .

وَيُعَدُّ تعليم القرآن الكريم أيضاً من مظاهر الدعوة إلى الله - تعالى - ، بل هـــو أشرف المظاهر : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً

---

(١) رواه « البخاري » في « صحيحه » (كتاب التفسير - باب حَدَّثنا محمد بن بشار ..) (٤٩٥٩) .

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] ، والدعوة إلى الله - تعالى - تقع بأمور شتى ، من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع .

ومن فضل تَعَلُّمِ القرآن وتعليمه أن في ذلك استجابة لأمر الله ﷻ حيث قال رسول الله ﷺ : « تعلموا القرآن و اقرؤوه فإن مثل من تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب وُكِيَ - أي ربط - على مسك » (سنن الترمذي) .

قال « النووي » - رحمه الله - « تعليم المتعلمين - أي للقرآن - فرض كفاية ، فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعيَّن عليه ، وإن كان هناك جماعةٌ يحصلُ التعليمُ ببعضهم وامتنعوا كلهم أثموا ، وإن قام بعضهم سقط الحرج عن الباقين ، وإن طُلِبَ من أحدهم فامتنع ، فأظهرُ الوجهين أنه لا يأثم ، لكنه يكره له ذلك إن لم يكن عذرٌ » [2] ، حتى إن إمام الحرمين « الجويني » - رحمه الله - جعل للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين ؛ لأنه يسقط الحرج عن الأمة [3] .

ومن فضل الله - سبحانه وتعالى - على أمة الإسلام أن جعل قلوب صالحيها أوعية لكلامه ، وجعل صدورهم مصاحف لحفظ آياته ،

---

(١) (فصلت : ٣٣) .

(٢) « التبيان في آداب حملة القرآن » (٣٣) .

(٣) نقل ذلك عنه « الزركشي » في « البحر المحيط في أصول الفقه » (١:٢٥١ - ٢٥٢) .

قال - تعالى - : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (١) ، كما أنه - سبحانه - يَسَّرَ لهذه الأمة حفظ القرآن الكريم ، وشرح صدور المؤمنين لتلاوته والتأثر به ، قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٢) .

قال « قتادة » في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ أَخَذَ الأَلْوَاحَ ﴾ (٣) : قال « موسى » - عليه السلام - مخاطباً ربَّه : ربِّ إني أَجِدُ في الألواح أمَّة أناجيلهم في صدورهم (أي : كتابهم) ، يقرؤون كتابهم نظراً ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا منها شيئاً ، ولم يعرفوه . قال « قتادة » : وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم (٤) .

قال « ابن تيمية » : والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا إنّ ربي أمرني أنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جهلتم مِمَّا عَلَّمني ، يومي هذا » إلى أن قال ﷺ : «وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماءُ ، تَقْرَأُه نائماً ويقظانَ » الحديث (٥) ، فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تُغْسَل بالماء ، بل يقرؤه في كل حال ، كما جاء في نعت أمته : « أناجيلهم في صدورهم » ، بخلاف أهل

---

(١) (العنكبوت : ٤٩) .
(٢) (القمر : ١٧) .
(٣) (الأعراف : ١٥٤) .
(٤) « تفسير القرآن العظيم » .
(٥) أخرجه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٢٨٦٥) .

الكـــتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب [١] .

وقال « الماوردي » في تفسير قولـــه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [٢] : معناه سَهَّلْنَا تلاوته على أهل كل لسان ، وهذا أحد معجزاته ؛ لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي » [٣] .

و لم يـــترك الرســـول ﷺ أمـــراً فيه تشجيع على حفظ القرآن الكريم إلا وسلكه ، فكان يفاضل بين أصحابه في حفظ القرآن ، فيعقد الراية لأكثرهم حفظـــاً للقـــرآن ، وإذا بَعَـــثَ بَعْثاً جعل إِمَامَهُم في صلاتِهم أكثرَهم قراءةً للقرآن ، ويقدّم لِلَّحْدِ في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن ويُزوّج الرجلَ المرأةَ ويجعلُ مهرَهَا ما يحفظه في صَدْرِهِ من القرآن الكريم .

(١) انظر « مجموع الفتاوى » (١٣ : ٤٠٠) .
(٢) (القمر : ١٧) .
(٣) « النكت والعيون » (٥ : ٤١٣) .

المبحث الرابع

حملات الهجوم على القرآن
بين الماضي والحاضر

يخطئ من يتصور أن الاتهامات والأباطيل التي يطلقها أعداء الإسلام ضد القـــرآن وأهلـــه ، هـــي وليدة هذه الأيام ، وإن كانت بالقطع تستفيد من المتغيرات والأحداث السياسية ، ولكنها حملات قديمة تستهدف القرآن الكريم مـــنذ أن هـــبط جبريل - عليه السلام - بالوحي على المصطفى ﷺ وفي كل عصـــر تأخذ أشكالاً متعددة ، وتتستر خلف شعارات مختلفة ، إلا أن غايتها واحد .

وما الهجوم الذي تتعرض لـــه جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة في الآونة الأخيرة إلا حلقة في هذه السلسلة الخبيثة من الادعاءات أو المكائد .. والقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أرشدنا إلى الغاية من هذه الحملات المسمومة في قولـــه - تعالى - : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

وهذه وإن كانت هي الغاية التي يسعى مُرَوِّجُو هذه الحملات لتحقيقها ، فـــإن وســـائلها تتعدد ، ومزاعمهما تتجدد ، وتتلوّن بألوان كثيرة ، إلا أنها تتركز في مجملها لتحقيق هدف واحد ، هو إضعاف الأمة الإسلامية بإضعاف إيمانهـــا المستمد من هدي القرآن الكريم، وثم إمكان السيطرة عليها ، وهذا ما نبَّهَـــنَا القـــرآن الكريم إليه في قولـــه - تعالى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ

(١) (الصف : ٨) .

تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (١) .

ونستطيع من خلال رصد وتحليل نماذج مما قيل ويقال ضد القرآن وأهله أن نتعرف على وسائل وأهداف هذه الحملات ، ودوافعها التي قد تختلف من فئة ضالة إلى أخرى ، ممن يتطاولون على القرآن .

اليهود والمشركون أول المشككين في القرآن الكريم :

ونبدأ من مهد الرسالة وبدءاً بتبليغ الرسول ﷺ حيث أنكر أحبار اليهود القرآن الكريم جملة وتفصيلاً ، فأنكروا أنه كلام الله الذي يتنزل على رسوله ﷺ ؛ برسالة الإسلام على الرغم من علمهم أنه الحق ، ومعرفتهم التّامة بأوصاف الرسول ﷺ الواردة في البشارات التي تتضمنها التوراة .

والمنطق يقول إنه من الطبيعي والمنتظر أن يكون اليهود هم أول من يؤمن بالرسالة ويؤمن بالرسول ﷺ ، فالقرآن الكريم يصدق ما جاء في التوراة ، وهم أكثر الناس علماً بالدين الخاتم الذي بشروا به في كتابهم ، وقد كانوا من قبل يستفتحون به على الذين كفروا ويبشرون ، لكن ما أن بُعث الرسول ﷺ حتى أنكروا ما يعرفونه من العلم .

وفي هذا قال الخالق – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (٢) .

---

(١) (فصلت : ٢٦) .

(٢) (البقرة : ٤١) .

وقال - جل وعلا - : ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) أي : أنهم كانوا يهددون الأوس والخزرج بأنه قد آن أوان بعث الرسول الخاتم وأنهم سيؤمنون به ، فلما بُعِثَ النبي ﷺ ورأوا أنه ليس من اليهود كفروا به وناصبوه العداوة .

لكن لماذا أنكر اليهود،إبان بعثة الرسول ﷺ القرآن الكريم والرسالة كلها ؟

القرآن الكريم أجاب عن هذا السؤال في قوله - تعالى - : ﴿ لاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ، وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، فرؤساء وعلماء اليهود وقتها ، ومنهم كعب بن الأشرف كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم ، وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئًا معلوماً من زرعهم وثمارهم ونقودهم ، فخافوا أنهم إن بيّنوا صفة الرسول ﷺ وصدقوا بما أنزل إليه من الوحي أن تفوتهم تلك الفوائد ، فكانُوا إذا سُئلوا عن أوصاف النبي ﷺ التي جاءت في التوراة كتموها و لم يذكروها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى التغيير بقوله - تعالى - : ﴿ لاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ (٣) ، وقوله - تعالى : ﴿ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ ، كما أشار إلى الكتمان بقوله : ﴿ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ

---

(١) (البقرة : ٨٩) .

(٢) (البقرة : ٤١ - ٤٢) .

(٣) (البقرة : ٤١) .

تَعْلَمُونَ ﴾ [1] ، وقد جمع اليهود بين الفعلين التغيير والكتمان ، وهم يعلمون أنهم ينكرون الحق ويؤثرون الباطل ، وقد فصَّل القرآن الكريم ذلك في مواطن كثيرة .

وما تحريف نصوص التوراة إلا بسبب رغبة علماء اليهود في إخفاء الحقيقة التي يعلمونها جيداً ، والأدلة الواضحة التي تؤكد أن الإسلام هو الدين الخاتم ، ورسوله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل .

وفي حياة الرسول ﷺ تنوعت مكائد وافتراءات اليهود ضد الإسلام ورسوله ﷺ ومعجزته القرآن الكريم ، على حدٍ سواء واتفقت هذه الافتراءات مع أقاويل المشركين من عبدة الأصنام ، بل إن عبدة الأوثان استندوا في كثير من مبررات رفضهم للدعوة إلى موقف علماء اليهود ، وما بين أيديهم من التوراة ، فاتهموا الرسول ﷺ بالسحر ، وأنه يفتري ما يتلو من القرآن الكريم - والعياذ بالله - ، وأنه يمارس الكهانة ، وغيرها من الأقاويل التي تبددت وانكشف كذبها ، أمام قوة القرآن الكريم وجلائه وإعجازه .

ونحن حين نقرأ حديث القرآن عن اليهود ونتدبر ما جاء في شأنهم ، نعرف أنهم جحدوا واستحبوا العمى على الهدى ، وجاءتهم الآيات البينات فضلوا وأضلوا ، على الرغم أن إيمانهم بالقرآن الكريم والرسول ﷺ إيمان بما معهم ، والكفر به كفر بما معهم من التوراة ، بل بالكتب والرسل جميعاً ، وقد

---

(١) (البقرة : ٤٢) .

أخذ الله – سبحانه وتعالى – عليهم الميثاق أن يؤمن بعضهم ببعض وأن ينصر بعضهم بعضاً ، وقد قال الرسول ﷺ : « لو كان موسى حياً ما وَسِعَه إلا اتباعي » [1] .

وقد أشرنا إلى أن إنكار اليهود للقرآن الكريم في عهد النبي ﷺ رافقه إنكار مماثل من عبدة الأصنام ، دافعهم في ذلك نزعات قبلية ترفض أن ينال بنو هاشم شرف النبوة ، ومصالح دنيوية منها الخوف من كساد تجارتهم حيث كانوا يبيعون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم للوافدين للحج وزيارة البيت الحرام ، يضاف إلى ذلك التمسّك الجاهل بموروث يخالف العقل ، وهو الالتزام بعبادة ما كان يعبده الآباء والأجداد من الأوثان .

وتنوعت صور الهجوم على القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ ما بين الإنكار ، (إنكار أنه من عند الله) ، والاستهزاء بالآيات القرآنية ، وتلاوة المسلمين لها ، ووصل الأمر إلى حدٍّ صياغة كلمات تافهة في معارضة القرآن الكريم ، وقد رويت نماذج كثيرة من هذه الأفعال السفيهة وتوافه الكلام التي سرعان ما اندثرت أمام عظمة القرآن وإعجازه .

وظَلّ اليهود على موقفهم المعادي للقرآن الكريم في جميع العصور السابقة ، يحركهم حقد على انتشار الإسلام في شتى أرجاء الأرض وحسد مبعثه ما امتلكه المسلمون من العلم النافع للدنيا والآخرة ، هذا العلم المستمد من هدي القرآن الكريم .

---

(١) أخرجه « أحمد » في « مسنده » (٢٢ : ١٤٦٣١) .

وعلى الرغم من هذا العداء اليهودي المتأجج ضد الإسلام والقرآن الكريم فإننا نجد أن القرآن الكريم يفرق بين اليهود المعادين للإسلام والمنكرين للقرآن ، وبين اليهود المنصفين الذين صَدَّقُوا بالنبي ﷺ ، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ (١) .

ويتفق عدد كبير من المفسرين على أن القرآن لم يعمّ أهل الكتاب كلهم ، بل حدد الكافرين منهم ؛ لأن حرب الله عليهم ، وموقف المؤمنين منهم لا ينطلق من عنصرية ولا حسد ، باعتبارهم أهل كتاب آخر ، إنما ينطلق من موقفهم العدائي تجاه الله - تعالى - والقرآن الكريم والرسول ﷺ ، فأهل الكتاب إذا التزموا بكتابهم وعهودهم فإنهم أهل ذِمَّةٍ محترمون في الإسلام .

وجاءت الصهيونية العالمية ، ولا نقول اليهودية ، لتطلق سهام أحقادها الموروثة ضد الإسلام والقرآن الكريم معتمدة في ذلك على نصوص التوراة التي تم تحريفها في عصور سابقة ، تلك النصوص التي تجعل اليهود فقط هم شعب الله المختار ، وأفضل الخلق وغيرها من الادعاءات التي كشف القرآن الكريم كذبها ، عندما فضح موقف اليهود من الأنبياء والرسل ، وسوء أدبهم مع الله في قوله - تعالى - : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ

---

(١) (الحشر : ٢) .

اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ، الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

وما يرجح أن هذه الآية جاءت في اليهود أنهم - قبحهم الله - هم الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وهم الذين قالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار .

والظاهر أن هذه الآيات في عمومها نزلت بمناسبة دعوة اليهود إلى الوفاء بالتزاماتهم المالية الناشئة عن معاهدتهم مع الرسول ﷺ في المدينة ، وقد نزل هذا التحذير مع فضح تعليلات اليهود في عدم الإيمان بالرسول ﷺ رداً على ما بَدَرَ منهم من سوء أدبهم مع ربهم وكذب تعليلاتهم ، ونزلت معه المواساة للرسول ﷺ عن تكذيبهم للرسل قبله وأنبياء بني إسرائيل الذين قتلوهم بعدما جاؤوهم بالبينات والخوارق كما هو معروف في تاريخ بني إسرائيل .

وحدد القرآن الكريم اليهود صراحة في عدائهم للإسلام ، في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٢).

---

(١) (آل عمران : ١٨٠ - ١٨٤) .

(٢) (البقرة : ١٢٠) .

وقولـــــه - تعالى - : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (١) .

فهل بعد هذا يستغرب أن يتفنن يهود هذا العصر وأذنابهم في التطاول على القـــرآن الكـــريم بأيِّ صورة كانت وأن يرصدوا لذلك الأموال الضخمة ، وينشئوا وسائل الإعلام ، ويحشدوا علماءهم ومفكريهم ومثقفيهم للإساءة إلى كتاب الله العزيز الذين فضحهم وفضح تاريخهم المشين مع الأنبياء ، ونقضهم للعهـــود والمواثيق وعداوتهم الظاهرة والخفية للإسلام وقتلهم الأنبياء ، وسوء أدبهم مع الله - سبحانه وتعالى - وأنبأ بما سيكونون عليه في المستقبل من عداء وحقـــد وكـــره للإســـلام والمسلمين ، وهو ما نراه حالياً وما تكشف عنه الصهيونية العالمية بأفعالها وأقوالها .

والمـــتأمل في عداء اليهود للقرآن الكريم في جميع المراحل منذ بعثة الرسول ﷺ وحتى الآن ، يجد أن أسبابه تتلخص في الآتي :

١- الرغـــبة في الانفـــراد بالعلم الإلهي « التوراة » والمكانة الدينية دون غيرهم من الأجناس الأخرى .

٢- الخوف من تضرر مصالحهم الدنيوية وفقدان الموارد المالية التي كانت تتدفق على أحبار وعلماء اليهود .

٣- محاولة التعمية على أوصافهم وتاريخهم المشين ، وموقفهم الكافر من الأنبياء ، الذي فضحه القرآن الكريم .

---

(١) (المائدة : ٨٢) .

وفي ضـــوء الأسباب الثلاثة الرئيسة السابقة ، نستطيع أن نعرف أهداف الصهيونية العالمية من التطاول ومحاولات التشكيك في القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم يفند مقولة (شعب الله المختار) التي تعتبرها الصهيونية العالمية أساساً لوجودهـــا ، تلـــك المقولـــة التي تحولت بالإلحاح الإعلامي عليها ، إلى أمر لا يـــتجرأ أحد على المساس به ، وإلا كانت همة معاداة السامية بانتظاره ، كما أن القرآن الكريم يفضح التاريخ الدموي لليهود ، فهم قتلة الأنبياء ، وهم الذين حاولوا قتل عيسى - عليه السلام - .

ولقـــد أدرك اليهود بالتجربة أن اعتصام المسلمين بالقرآن الكريم - وهو مـــنهاج الشـــريعة الإســـلامية - يمنحهم القوة والقدرة والوعي الذي يفشل مخططاتهم العدائية ، فعلموا جاهدين ومازالوا ليضعفوا ارتباط المسلمين بالقرآن الكـــريم وصَرْفهم عنه وفي ضعف ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم والانصراف عنه - كما يؤكد القرآن الكريم ذاته وتشهد الوقائع التاريخية - ضَعْفٌ للأُمَّةِ بـــأَسْرِهَا .

ولا شكَّ أن إضعاف أمة الإسلام بالتشكيك في مصادر الشريعة ، ووقف المدّ الدعوي ، يحقق الأهداف السياسية ليهود هذا العصر ، والصهيونية العالمية عـــلى وجـــه التحديد ويخدم أطماعهم الاستعمارية ، ورغبتهم في السيطرة والسيادة ، ولاسيما في صراعهم المباشر ضد العرب والمسلمين في فلسطين .

ومن ذلك يمكن تلخيص أهداف هجوم اليهود في هذا العصر على القرآن الكريم في الآتي :

١- صـــرف الأمة الإسلامية عن مصدر قوتها وعزتها المتمثل في القرآن الكريم .

٢- تحويل أنظار المسلمين عن صفات اليهود وتاريخهم الدموي المعادي لجميع الأنبياء والرسل ، عليهم السلام .

٣- الدفـــاع المستميت والترويج لنصوص التوراة المحرفة التي تعلي من شأن اليهود كجنس بشري سامٍ .

٤- وقف وتعطيل المدّ الدعوي ومناشط الدعوة الإسلامية الموجهة لغير المسلمين .

٥- تعطـــيل خيريـــة المجتمعات المسلمة المستمدة من الاهتمام بالقرآن الكريم تعليماً وتعلماً .

٦- دفـــع الناشـــئة والشـــباب المسلم إلى اللهو والعبث والمحرمات ، لاســـتهلاك طاقـــتهم وتغييـــب وعيهم لإمكان السيطرة عليهم مستقبلاً .

ولذلك فإننا لا نستغرب أن يطلق الإعلام الصهيوني والأصولية النصرانية المتشددة في الآونة الأخيرة سهامه ضد جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة ، مستفيداً مما يسمى بالحرب العالمية ضد الإرهاب ، وهذه الحملات تـــتجاوز جمعيات التحفيظ إلى القرآن الكريم ذاته ، وليس أَدَلّ على ذلك من أنهـــا تزامنت مع هجوم مماثل حتى على مناهج التعليم الديني في التعليم العام ، بدعـــوى أنها أيضاً تكرس الغلو والتطرف الديني ،كما سبقها إصدار كتاب

مغرض بعنوان : « الفرقان الحق » لترسيخ عقيدة التثليث ، بأن رسالة عيسى هي الخاتمة ، وأنها لا رسالة بعده ، وهو كتاب يصطنع رسم القرآن الكريم وقد صدر عن أحد أكبر دور النشر والتوزيع الأمريكية عام ١٩٩٩م باللغتين العربية والإنجليزية ، وتقوم جماعة يهودية متطرفة بإسرائيل بإعداد تفسير لهذا الكتاب ، والمقارنة بينه وبين القرآن الكريم ، ويستخدم أقسى عبارات القذع والقدح ضد المسلمين ، ويقدح في إلههم ، ودينهم ، ونبيهم ، وقرآنهم ، بهدف إثبات بشرية القرآن الكريم - والعياذ بالله - وأنه ليس كتاباً سماوياً وفق زعمهم [1] . وليس بمستبعد أن تهاجم أيضاً الجامعات والكليات التي تدرس القرآن الكريم والشريعة فالهدف ليس هذه المؤسسات ذاتها ، لكن ما تُدَرِّسه من علوم الدين ، على رأسها القرآن الكريم .

التنصير والهجوم على القرآن :

اتفقت أهداف اليهود وغلاة النصارى والمشركين في إطلاق الانتقادات وشن حملات الهجوم على القرآن الكريم وإن اختلفت وسائلهم وأساليبهم باختلاف العصر والظروف .

هذه حقيقة قررها القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربع مئة عام ، في قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [2] .

---

(١) « قراءة » (جريدة الجزيرة - العدد ١١٦٩٨) .

(٢) (البقرة : ٢١٧) .

وإذا كان اليهود قد أنكروا القرآن الكريم كاملاً وسخروا منه واستهزؤوا بآياتـــه – والعـــياذ بالله – ودَأَبُوا على افتعال الفتن والخلافات حوله ، فإن الحركات التنصيرية والتي ترفع الشعارات وتطبق برامج التبشير بالنصرانية قد اتخذت أساليب أخرى لتحقيق الهدف ذاته ، ومن أبرز هذه الأساليب :

الاستشراق والمستشرقون :

فـــبعد اندحار الاستعمار العسكري المسلح ، والاستقلال السياسي لمعظم بلـــدان العالم الإسلامي ، اندفعت الحركات التبشيرية تروج لمفاهيم القوميات وإحـــياء نعـــرات الحضـــارات القديمـــة التي كانت قد تراجعت أمام شمولية الإســـلام ، فَـــرَوَّجَ المبشـــرون لفكرةٍ قوميَّةٍ تتعارض مع تعاليم الإسلام التي تساوي وتؤاخي بين جميع المسلمين ، ومثال ذلك الترويج للحضارة الفرعونية في مصـــر ، والحضارة الفينقية في الشام ، والآشورية في العراق ، وعلى الرغم مـــن أن هـــذه الحركات وَجَدَتَ مَنْ يروّج لها من أبناء الأمة الإسلامية ممن ابـــتلعهم الغـــزو الثقافي ، وامتصَّ قواهم الذاتية ، إلا أنها ماتت على أعتاب استقلال جميع الدول الإسلامية ، وانحسار التأثير التبشيري عنها .

ووفقاً لسياسة « الحيات » التي عرفت بها الحركات التنصيرية واتفاقها في الخـــط الاســـتعماري غير المسلح بدأت محاولات تدويخ أمتنا وتعميتها عن حقيقـــتها الوحـــيدة وكيانها الحضاري الأول المنبثق من القرآن الكريم ، وبدأ المنصّرون ممن يتخفون في ملابس المستشرقين في العمل على تشويه كل ما هو إسلامي ، ومن الطبيعي أن يكون القرآن الكريم هو هدفهم الأول ، ونجحوا –

للأسف - في التأثير داخل كثير من الدوائر السياسية الغربية ، وليس أدلّ على ذلك من واقعة وقوف اللورد « جلادستون » يصرخ بمجلس العموم البريطاني وقد أمسك بنسخة من القرآن الكريم قائلاً : « مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان » .

وليس أدل على أن الاستشراق في شقه الأكبر كان وسيلةً من وسائل الحركات التنصيرية من أن كثيرًا من المستشرقين كانوا من القساوسة ودعاة النصرانية ، ممن تربوا في أحضان الاستعمار ، وكثير منهم ممن ارتبطت مصالحهم بالصهيونية العالمية .

وإذا كانت دوافع الاستشراق كثيرة ، ومنها النفسي والتاريخي الاستعماري والعلمي والاقتصادي والتجاري فإن الدافع الديني يظل هو الأهم والأخطر ، وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال كتابات المستشرقين ودراساتهم ، فالطعن في الإسلام وتشويه حقائقه ومحاربته والبحث عن نقاط ضعفه في نظرهم هي المقصد الأساس لأسباب عِدّة ، هي :

١- حماية غير المسلمين من خطر الإسلام - على حدّ وصفهم - ووصوله إلى عقولهم وقلوبهم لعدم الدخول فيه .

٢- تهوين المسلمين في نفوسهم ليسهل ابتلاعهم والسيطرة عليهم .

٣- ردّ المسلمين عن دينهم وزعزعة ثقتهم في القرآن الكريم والرسول ﷺ تمهيداً لتنصيرهم .

وقد سلك هؤلاء المستشرقون شتى السبل للوصول إلى أهدافهم وركزوا

عـــلى المجال العلمي ، فترجموا الكتب الإسلامية ، وعلى رأسها معاني القرآن الكـــريم ، وكتب الصحاح والتفاسير فشوهوها أيما تشويه [1] ، ومن هؤلاء المستشـــرقين المستشـــرق « أ. ج. فينسينك » الذي نَشَرَ كتاباً ادّعى فيه أن الرســـول ﷺ أَلَّـــفَ القرآن الكريم من خلاصة الكتب الدينية والفلسفة التي ســـبقته، والمستشرق الألماني « يوسف شاخت » الذي أَلَّفَ كتاباً بعنوان : (أصول الفقه الإسلامي) مملوء بالمغالطات والافتراءات ، والقائمة التي تضم هؤلاء المنصرين من المستشرقين طويلة ، من بينها عدد من أصحاب الأصول العربية الذين هاجروا للغرب ، وسَخَّرُوا أنفسهم في خدمة الهيئات التنصيرية ، طلباً لمتاع دنيوي زائل .

وما أكثر الموسوعات والدراسات والكتب التي قدمها هؤلاء المستشرقون المليئة بالافتراءات والاتهامات الباطلة للإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ ، والملفت للنظر أن هذا الصنف من المستشرقين يحظون برعاية جميع المؤسسات التنصيرية والإعلامية ، ويعملون في كبرى الجامعات والمعاهد العلمية الغربية ، في حـــين أن المستشـــرقين المنصفين المعتدلين يتم تهميشهم ، وربما محاربتهم ، ووضـــع العراقـــيل أمامهم ، كما أنَّ أبحاثهم المجردة عن الهوى ، التي تُنْشِد الحقيقة الخالصة لا تلقى رَوَاجاً عند رجال الدين في الغرب ، ولا عند رجال السياســـة ، ومن ثم فهي لا تُدِرُّ عليهم ربحاً ولا مالاً ، ولهذا يندر وجود هذه

(١) « الاستشراق والمستشرقون » .

الفئة في أوساط المستشرقين [1] .

وإذا وجدوا فإنهم يتعرضون لحرب شعواء ربما وصلت ببعضهم إلى غياهب السجون، ولعلنا نذكر ما حدث للمستشرق الهولندي « هارديان ريلاند » ١٧١٨م بعد أن قدم كتاب (الديانة المحمدية) ، والذي يشيد فيه بإعجاز القرآن الكريم ، وعظمته ، وشمولية الشريعة الإسلامية ، حيث وضعت الكنيسة في أوروبا هذا الكتاب على رأس قائمة الكتب المحرم تداولها ، كذلك ما حدث مع المستشرق الألماني (يوهان. ح. رايكة » الذي اتُّهِمَ بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام والقرآن الكريم ، وعاش بائساً ومات مسلولاً ، وليس بعيداً عن الذاكرة ما تعرض له المفكر الفرنسي « جارودي » لكتاباته المنصفة للإسلام ، وبالنظر إلى كتابات المستشرقين غير المحايدين التابعين للمؤسسات التنصيرية ، أو ممن تلتقي مصالحهم بمصالح الصهيونية العالمية منذ بداية الاستشراق ، نجد أنها تسير في اتجاهاتٍ عِدَّة للإساءة إلى القرآن الكريم ، ومن هذه الاتجاهات :

١- إنكار أن القرآن الكريم من عند الله ، سبحانه وتعالى .

٢- الادعاء بأن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ .

٣- التشكيك في صحة جمع وتدوين القرآن الكريم بالصورة التي يوجد عليها .

٤- القول بتعارض بعض آيات القرآن الكريم مع بعضها الآخر .

---

(١) « الاستشراق والمستشرقون » .

٥- العـــرض المغلوط أو المنقوص لترجمات معاني بعض آيات القرآن الكـــريم عـــلى طريقة (لا تقربوا الصلاة) ؛ بغية تحقيق أهداف بعينها .

٦- الادعاء بأن الإسلام انتشر بحدِّ السيف ، وأنه دينٌ يتجاهل حقوق المرأة .

ويـــرجع ذلـــك إلى أن أغلب أعمال المستشرقين في مجال هذه الدراسات الإسلامية قد اتسمت بالتعصب حيناً أو قصور منهج الدراسة أحياناً ، فمعظم المستشـــرقين يُعدُّونَ القرآن الكريم كغيره من الكتب ، وضعاً بشرياً من عمل النبي ﷺ لا وحياً إلهياً ، ومن هنا جاءت أعمالهم تجاهه وتجاه علومه قاصرة ، وأســـيرة هذا الفهم ، فعلى الرغم من كثرة أعمال المستشرقين حول القرآن الكـــريم - تـــرجمة ودراسة - إلا أن الباحث المنصف لا يرى في غالبيتها إلا المغالطـــة والإيهـــام والتشـــكيك سواء كان ذلك بقصد أم بجهل وتقليد من بعضهم لبعض ، يقول : (موريس بوكاي) [1] : إن الأحكام المغلوطة تماماً الـــتي تصدر في الغرب عن الإسلام والقرآن الكريم على وجه الخصوص ناتجة عـــن الجهـــل حيناً ، وعن التسفيه العامد حيناً آخر ، ولكن أخطر الأباطيل المنتشـــرة تلك التي تخص الأمور الفعلية ، وإذا كنا نستطيع أن نغفر الأخطاء الخاصة بالتقدير فإننا لا نستطيع أن نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة ، بـــل إنـــنا لَنُصَـــابُ بالذهول عندما نقرأ في أكثر المؤلفات الجدية أكاذيب

(١) « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » .

صارخة ، برغم أن مؤلفي هذه المؤلفات هم في الأصل مؤلفون أكفاء ومثال ذلـــك في دائرة المعارف البريطانية الجزء السادس (تحت عنوان : الأناجيل ، نجد إشارة لاختلاف الأناجيل عن القرآن) يقول المؤلف : « إن المبشرين لا يدعون كما يفعل القرآن نقل سيرة ذاتية أملاها الله بشكل معجز على محمد » ثم يعقب « موريس بوكاي » قائلاً : وحقيقة الأمر أَلاَّ صِلَةَ هناك بين القرآن ومـــا يسميه المؤلف بالسيرة الذاتية ، إن القرآن رسالةٌ ، ولو كان المؤلف قد استعان حتى بأسوأ ترجمة للقرآن لثبت له ذلك ، إن الدعوى تنافي الواقع هي الأخـــرى تماماً ، مثل الدعوى التي تعرّف الإنجيل بأنه سيرة ذاتية لمبشر ، وأن نشر هذه الأكاذيب تعطي صورة زائفة عن الإسلام والقرآن .

وقـــد تنوعت افتراءات ومغالطات المستشرقين حول القرآن الكريم ما بين افـــتراءات على النص القرآني ، مثالُ ذلكَ وَصْفُ المستشرق المَجَرِيّ اليهوديّ الأصل جولد زيهر (Gold Zihaer) في كتابه : « العقيدة والشريعة في الإســـلام » القـــرآن في مجمله بأنه : « أثر من آثار الأدب العالمي ، وصورة مرسومة بألوان قوية عن نهاية العالم والحساب الأخير ، تحض على إعداد المرء نفسه لهذا اليوم بترك الكفر ونبذ الحياة التي كان يحبها أولاً ، وفيه قصص عن ســـلوك الأمم القديمة مع من أرسل إليها من الأنبياء والرسل وعن مصائرها ، وفـــيه تدليل بخلق العالم وتكوين الإنسان تكويناً عجيباً على قدرة الله المطلقة وتبعية المخلوق له . إنّ الله يستطيع أن يميته ويبعثه كما يشاء » .

ويرى المستشرق الفرنسي بلاشير (Blacher) مثل هذا الرأي كذلك

عـــندما يذكر في كتابه « قضية محمد » أن : « مما لفت انتباه المستشرقين هو هـــذا التشـــابه الحاصـــل بـــين هذا القصص القرآني وبين القصص اليهودي المســـيحي ، فقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى إذ كثيراً ما تكشف مقارنته بالنصوص غير الرسمية - كإنجيل الطفولة - في ذلك العهد عن شبه قويّ » .

ويذهب المستشرق الإنجليزي ريتشارد بل (R.Beel) مؤلف كتاب : « مقدمـــة القـــرآن » إلى أن النبي محمد ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس وخاصة العهد القديم في قسم القصص ، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر غربية ، ولكن الجانب الأكبر من المادة الـــتي اســـتعملها الـــنبي محمد ليفسر تعاليمه قد استمده من مصادر يهودية ونصـــرانية ، وقـــد كانت فرصته للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة ، حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة ، وعـــن طـــريقها حصـــل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل » [1] .

وواضـــح أن اختلاف العقيدة والتعصب ضد الإسلام قد أدى إلى تقليد بعض المستشرقين لبعضهم في القول بأن القرآن الكريم وضع بشري ، لا وحي إلهي .

ومـــن أخطـــر مَـــنْ حـــاولوا تشـــويه القرآن الكريم المستشرق الحاقد

---

(١) « المستشرقون والإسلام » .

« ماكدونـــالد » (D.B.Macdonald) ، فقد اتّهم القرآن بأنه من عند محمـــد ﷺ ، ولـــيس من عند الله ، قال : « كما أنه من المحقق أن أهل مكة جعلـــوا بينه وبين الجِنَّة نسباً ، وجعلوهم شركاء لله ، وقدموا لهم القرابين ، وكـــانوا يعوذون بهم ، ولسنا نعلم علم اليقين ، هل وجدت لديهم فكرة عن الملائكـــة أو أنهـــم جعلوهـــم شـــركاء لله ، وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد ... » [1] .

فهو يدّعي أن القرآن الكريم تفسير من عند محمد ﷺ ، والعجيب أنه بينما يدعي هذه الدعوة الباطلة نجده يعتمد في كلامه أحياناً على آيات قرآنية .

ثم يـــلح في موضع آخر على أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ ، وأنه يـــزيد فيه أو ينقص منه حسب ضرورات السجع في الكلام ، فقال : « وقد عرّف محمد الله بأنه الملك المنتقم الغيور ، وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر ، وبذا تحولت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لهـــا خطـــر عظـــيم ، وينبغي لنا أن نتبسط في الكلام على هذه الذات كما تصورها محمد ﷺ ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعـــدة صـــفات يتردد ذكرها كثيراً في القرآن ، وتبين شغف محمد ﷺ بهذه الصفات وشدة تمسكه بها ، وكانت الفطرة السليمة هي التي دفعت المسلمين بعد محمد ﷺ إلى جمع هذه الصفات وتقديسها .

---

(١) « دائـــرة المعارف الإسلامية » (٤ : ٢٤٥) . وانظر « الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر » (٣٥) .

وهذه الصفات تعبر عن حقيقة إله محمد ﷺ أحسن مما تعبر عنها الصفات التي ذكرها علماء الكلام في القرون الوسطى ، وهي تعيننا كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد ﷺ المبعثرة المتناقضة » [1] ، ثم يعاود « ماكدونالد » محاولاته في تأكيد وهمه بأن القرآن الكريم ليس من عند الله ، فيوهم قارئه بأن هذا القرآن من صنع محمد ﷺ وأنه كان من السهل عليه أن يزيد أو ينقص منه ، فيقول : « وكان شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة في استعمال الصفات ، ولكن صفة (الواجد) لم يرد ذكرها في القرآن ، ولو أنه كان من السهل أن ترد فيه ... » [2] .

ثم يلح على إلصاق تهمة صنع القرآن بمحمد ﷺ ، فيزداد تخبطاً ، حيث يقول : « ومن أسمائه - يعني الله سبحانه - السلام ، وهذه الصفة لم ترد إلا في الآية (٢٣) من سورة الحشر ، ومعناها شديد الغموض ، ونكاد نقطع بأنها لا تعني السلام ، ويرى المفسرون أن معناها السلامة ، أي : البراءة من النقاش والعيوب وهو تفسير محتمل ، وقد تكون هذه الصفة كلمة بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى »[3] .

ولست أدري بماذا نرد على باطل « ماكدونالد » ومزاعمه ؟ وليس فيما زعمه شيء يستند إلى دليل ، وبحسبه أن يفند مزاعمه مستشرق آخر هو « كارديه » .

---

(١) « دائرة المعارف الإسلامية » (٤: ٢٤٦ - ٢٤٧) .
(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » (٤ : ٢٤٧) .
(٣) « دائرة المعارف الإسلامية » (٤ : ٢٤٨) .

والأعجب من ذلك ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي « جوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » حيث فسَّر نزول الوحي على النبي ﷺ بمرض الصرع ، وهو لا يورد في ذلك حقيقة علمية أو تاريخية .

كما قدح بعض المستشرقين في صحة النص القرآني ، فتكلموا في لغة القرآن الكريم وهل هي لغة قريش أم لغة الشعر الجاهلي ؟ وكيف نزل القرآن بلغة نجد – لغة الشعر الجاهلي باعتبار أن أشهر شعراء الجاهلية نجديون – في حين أن النبي ﷺ كان قرشياً ؟

كما تكلموا في موضوع القراءة بالأحرف السبعة محاولين إثبات أن القراءة كانت حُـرَّةً طليقة ، الأمر الذي جعل – على حدّ زعمهم – تَعَرّض نص القرآن للتغيير أمراً لا مفر منه ، وهم بذلك يوهمون بأن التدوين وقع في جوٍّ هذه الحرية ، وفي هذا الجو تم تسجيل قراءات مختلفة ، وهذه القراءات التي نجمت عن ذلك التدوين لم تكن هي الصورة التي ورد بها الوحي .

والحمد لله أن مثل هذه الافتراءات والأباطيل وجدت من يرد عليها ببحوث قيمة أَخْرَسَتْ أَلْسِنَةَ المفترين والجَهَلَة ، ولَعَلَّ الحجة المنطقية والعقلية التي تدحض مثل هذه الافتراءات أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فكيف يكون قد اطلع على ما كتب باللغات اليونانية أو ما جاء في الإنجيل أو التوراة ، ولا سيما أن اليهود والأحبار ما كانوا ليطلعون غيرهم على ما لديهم من علم ، خوفاً من أن يفقدوا مكانتهم أو يشاركهم غيرهم في مكاسبهم التي كانوا يحصلون عليها ، كما أن العقل الغربي الذي لا يعترف إلا بالعلم يقف

كل يوم مبهوراً أمام الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وذلك بشهادة علماء الغرب المنصفين ، ونحن في هذا الصدد ندعوا كل مسلم قادر للقيام بدوره في الرد على مثل هذه الافتراءات ، كلٌّ في حدود قدرته واختصاصه ، لا سيما وأنّ أعداء الإسلام ما زالوا يدأبون على تتبع الروايات الضعيفة ، واستخدام القضايا المنطقية ذات المقدمات الخاطئة للقفز إلى النتائج التي تشكل في مجملها طعناً في صحة النص القرآني وصدق تنزيله .

وعلى الرغم من هذه المغالطات فإنه يذكر بالإنصاف ما ذكره بعض المستشرقين عن صحة النص القرآني ودقته ، ومن ذلك ما أورده « موريس بوكاي » في كتابه « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » ، حيث قارن نصوص التوراة والإنجيل بآيات القرآن الكريم في القضايا العلمية وخرج من ذلك بقوله : « هناك فرق جوهري بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحية ، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل ثابت معاً » ؛ وقال كذلك : « صِحَّةُ القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ مكانة خاصة بين كتب التنْزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة العهد القديم ولا العهد الجديد » .

ويعزو الباحثون المحدثون الأسباب العائقة عن فهم المستشرقين للقرآن الكريم - وبالتالي قصور تراجمهم لنصوصه - إلى جهلهم باللغة العربية وبلاغتها وطرائق التعبير بها التي بلغ القرآن الكريم فيها ذروة الإعجاز في

أسلوبه ونظمه وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين جميعاً ولا سيما أن كثيراً من ترجمات القرآن الكريم التي يعتمد عليها علماء الغرب في فهم القرآن الكريم قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عبارته العليا، وأسلوبه المعجز للبشر ، وهي إنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم إن كان يريد بيان ما يفهمه ، وإن كان من الثابت أن بعض هؤلاء المستشرقين تعمد تحريف القرآن الكريم عن مواضعه ، ويكثر ذلك فيمن لم يكن مؤمناً به ، وهو ما يؤكده الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي في قراءته النقدية لما جاء في الكتاب الملفق المسمى بـ « الفرقان الحق » بقوله : إن مثل هذه الأعمال المغرضة تعمد إلى تحريف الآيات لتحويرها عن مدلولاتها ومقاصدها واستعداء العالم على المسلمين والإسلام بالادعاء بأنهم هدموا الكنائس وقتلوا القائمين عليها والإمعان في وصف المسلمين بالقتلة وانتقاد وضع المرأة في الإسلام دون فهم ، وبسخرية واضحة من الجنة والنار [1] .

ويؤكد المستشرق الألماني فيشر (Fischeer) أن أغلب مترجمي القرآن الكريم مستعربون من الطبقة الثانية ، بل ومنهم من هم من الطبقة الثالثة والرابعة .

وفي أحدث الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم يؤكد صاحبها المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) أنه ليس هناك ترجمة وافية لمعاني القرآن الكريم حتى وإن كان هناك ست مئة منها ، فهذه الترجمات ليست كافية ، ويضيف : وما

(١) « قراءة » (جريدة الجزيرة ، العدد ١١٦٩٨) .

قمت أنا به غير كاف أيضاً ، ولكن الذي دفعني إلى هذا الاجتهاد في التفسير أنني حظيت بالمَوْلِد في بلد عربي ، فأكسبني ذلك لوناً من الطلاقة في اللغة العربية ساعدني على الاجتهاد في التفسير ، فنحن في أوروبا عندما نترجم معنى آية واحدة نجد لترجمتها خمسين أو مئة صفحة من التفاسير ، ومن لا يحسن العربية أو يتبناها كلغة ثانية على الأقل لا يستطيع أن يقدم ترجمة دقيقة .

وقد رصد بعض المحدثين نماذج كثيرة من أخطاء الترجمات الحديثة لمعاني القرآن الكريم في اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ومن ذلك ما جاء في ترجمة قوله تعالى :﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ [1] فقد ترجمت باللغة الفرنسية (bat a enrichee) وبالإنجليزية (enrich and thee) أي أن الله تعالى قد أغدق عليك بالمال فأغناك ، والواقع أن المعنى القرآني هو أن الله - عز وجل - حرر النبي ﷺ من الحاجة ، وهذا ما تنبه له العلامة الهندي محمد علي في ترجمته الإنجليزية حيث ترجم المعنى على الوجه الصحيح (and make thee to be free from wa) .

وكلمة (اقرأ) في قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [2] ترجمت بالفرنسية مرة (Recite) ، ومرة (Lis) ، وبالإنجليزية (Recite) ، وظاهر تماماً الفرق بين الكلمتين ، فكلمة (Lis) تعني اقرأ شيئاً جديداً تتعلمه وتعرفه ، أما (Recite) فتعني سَمِّعْ ما تعرف ، وهذا الفرق بين التعبيرين يدل على مدى دقة عمل المترجم من المستشرقين عندما

---

(١) (الضحى : ٨) .

(٢) (العلق : ١) .

يستعمد استعمال كلمة (Recite) حيث نرى فيها بوضوح ما يعني أن القرآن من عند النبي ﷺ لا وحي يوحى ، ومعلوم فوق ذلك أن هناك الكثير من التعبيرات البيانية الرفيعة التي استخدمها القرآن الكريم وتصعب ترجمتها بالعربية فضلاً عن غيرها من اللغات الأخرى ، وهو الأمر الذي يفند أيَّ دعاوى بأنَّ القرآن الكريم مقتبس من الإنجيل أو التوراة أو الفلسفات اليونانية القديمة ، حيث تبلغ دقة التصور القرآني مكانة رفيعة يستحل ترجمتها بنفس معناها وبلاغتها ، مثل قوله - تعالى - : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ (١) وقوله - جل شأنه - : ﴿ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (٣) وقوله - سبحانه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ (٥) ، ومثله كثير ، وفي ثلاث تراجم حديثة لمعاني القرآن الكريم ترجم المستشرقون (سافاري) و(ماسون) و(كاسميرسكي) قوله - تعالى - : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (٦) ترجموها بما يعني : هُنَّ أثواب أو بنطلونات ! .

وهكذا نخلص إلى أن أعمال المستشرقين تجاه القرآن ونصه وحقيقته

---

(١) (البقرة : ١٧) .
(٢) (إبراهيم : ٣٧) .
(٣) (النور : ٣١) .
(٤) (الأنبياء : ١٨) .
(٥) (النبأ : ١٠) .
(٦) (البقرة : ١٨٧) .

وترجمته قد جاءت في الأغلب الأعم محرّفة ، ومغلوطة ، وتتعمد الدَّسَّ والافتراء والكذب والتأليف من عند المترجم نفسه ، على الرغم من كثرتها ، وأن مبعث ذلك راجع إلى اختلاف العقيدة وعدم الإحاطة باللغة العربية وبلاغتها ، وإلى عدم الإحاطة بالمفاهيم الإسلامية لمدلولات ألفاظ القرآن الكريم ، إضافة إلى الحقد الدفين لدى كثير منهم على الإسلام وأهله .

وفيما يتعلق بإعجاز القرآن الكريم وقع عدد كبير من المستشرقين في جملة أخطاء عن جهل حيناً وعمد أحياناً ، ومن أمثلة ذلك ما قاله المستشرق النمساوي اليهودي « جوستاف جرينباوم » الذي يعدّ من أكثر المستشرقين تناولاً لمعنى الإعجاز في القرآن الكريم ، حيث تناوله في غير موضع من دراسته حول الإسلام والقرآن ، وقد اعتمد في فهم معنى الإعجاز على ما كتبه علماء المسلمين من القدماء والمحدثين .

وانتهى « جرينباوم » في ختام دراسته إلى مناقشة خواص الإعجاز في أسلوب القرآن الكريم التي تفرد بها القرآن الكريم من دون سائر الكتب السماوية الأخرى من التوراة والإنجيل وهو يؤكد كمال أسلوب القرآن الكريم إذا قورن بعيوب الكتابات المقدسة الأخرى المحررة .

وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة واقعة بين نص القرآن الكريم وبين نصوص غيره من الكتب السابقة إلا أن المستشرق « جرينباوم » راح يعللها بمغالطة فحواها أن تعاليم المسيحية تترك المؤلف المفهم بنفس الروح المقدسة حراً في ميدان الأسلوب ، وبالتالي لم يعط أي مؤلف دافعاً للبحث عن صلة

متبادلة دقيقة بين النص الموحى من ناحية ، وبين البلاغة من ناحية أخرى .

والـــرد على هذه المغالطة واضح ، فالكتب السماوية الأخرى غير القرآن الكريم لم تكن معجزة في نفسها ، وبالتالي لم تكن نصوصها معجزة .

ولهذا لم يتكفل الله بحفظ نصوصها فقد كانت في مجملها مناهج شريعة ، وأخلاق أوحى الله بها لتبليغها والعمل بها ، ولهذا كانت كل مناهج الرسالات السابقة مختلفة عن معجزات الرسل التي حملتها فالمعجزة في رسالة النبي عيسى – عليـــه الســـلام – مثلاً كانت في الأفعال التي جاء بها بإذن الله من إحياء لـــلموتى ، وإبراء المرضى ، بينما كان منهجه الإنجيل ، ومثل ذلك في منهج النبي موسى – عليه السلام – ومعجزته ، ولكن القرآن يختلف عن ذلك في أنه جمع بين المعجزة والمنهاج ، ليظل المنهاج في المعجزة فلا يصيبه ما أصاب غيره مـــن الشرائع من التبديل أو التحريف على مر الزمان ولهذا تكفل الله بحفظه وبقائه وتحدى به العرب عندما قالوا بافتراء النبي ﷺ له وأنه ليس من عند الله .

وعـــلى ذلك فالأسلوب الذي نزل به هذا النص القرآني معجز كذلك ، ومـــتحدى بـــه وهذا لم يتح لنصوص التوراة أو الإنجيل ، وعليه فليس هناك مســـوغ لقول « جرينباوم » بأن المسيحية تترك المؤلف الملهم بنفس الروح المقدسة حراً في ميدان الأسلوب ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نجد أن القرآن الكريم تفرد بأنه تنزل بنصه ومعناه من عند الله لم تتدخل فيه يد مؤلف أو محرر أو مترجم ، قال تعالى : ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا

جَمْعَـــهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [1] ، ومن ناحية ثالثة نجد أن بلاغة القرآن الكريم في ذات نصِّـــه ، والألوان البلاغية في أسلوبه (من تشبيه ، أو تمثيل ، أو استعارة ، أو كـــناية ، أو غيرهـــا) ليس مما يمكن تغييره ، فهي أصل في تركيبه وهو مبني عليها ، وليست مبنية عليه حتى يمكن لمؤلف أن يبحث عن صلة متبادلة دقيقة بـــين الـــنص الموحى به من ناحية وبين البلاغة من ناحية أخرى ، كما يرى « جرينباوم » .

والحقيقة التي غفل عنها « جرينباوم » أن العلماء القدامى في دراساتهم عن إعجاز القرآن الكريم إنما كانوا يقيسون الأساليب العربية والظواهر اللغوية في الشـــعر والنـــثر على القرآن الكريم ، فقد كانوا يرون أن القرآن الكريم هو المقياس ، لا الأدب باعتباره نصاً معجزاً .

ويرى بعض المعاصرين [2] أن حال هؤلاء الصنف من المستشرقين قد شهد نقلـــة نَوْعِـــيَّة في ميدان دراستهم ، حيث كانت الكتابات المبكرة لهم متأثرة بالنصرانية إلى حد كبير ، وكانت المحاولات الأولى تهدف إلى تقويض الإسلام كديـــن من خلال تشويه تعاليمه الأساسية وترويج الأساطير والخرافات عن القـــرآن الكريم و الرسول ﷺ إلا أنها في الآونة الأخيرة أخذت طابعاً آخر ، فبدلاً من محاولات تقويض المعتقدات الإسلامية التي ثبت أنها محاولة استفزازية نـــتج عـــنها ردود فعـــل عكســـية ، يتم الآن التشكيك في مصداقية ونوايا

---

(١) (القيامة : ١٦- ١٨) .

(٢) « موقف الغرب من الإسلاميين » .

المسلمين ، وهذا يدلّ على أن العداء للإسلام والمسلمين مُتَأَصِّلٌ في هذا الصنف من المستشرقين ، وفي المقابل فإن المستشرقين المنصفين سواء ممن اهتدوا وأسلموا أو من غير المسلمين قدموا رؤية علمية أمينة في مقارنة كمال القرآن الكريم بغيره من الكتب مع أنه لا مجال للمقارنة في واقع الأمر .

وعلى الرغم من أنّ العالم الإسلامي يزخر بآلاف العلماء الراسخين الذين استطاعوا تفنيد جميع الافتراءات والأباطيل التي أطلقها اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من العلمانيين والعقلانيين وغيرهم من أتباع المذاهب الفلسفية والجدلية ، بالدليل القاطع والحجة الواضحة ، التي سلم بها المنصفون والعقلاء والأسوياء حتى من غير المسلمين ، وقنعوا بعد معرفتهم بإعجاز القرآن الكريم نصّاً ومعنَىً وأُسْلُوباً وعِلْماً ، إلا أننا نرى أنه من المناسب التذكير بمنهج القرآن الكريم في تحدي كل من يتطاول عليه أو يشكك فيه ، وجوانب إعجازه بدءاً من بلاغته التي أعجزت العرب أهل البلاغة والفصاحة ، وحتى علومه التي ما زالت تبهر أكبر الأكاديميات والجامعات والمعاهد العلمية ومراكز الأبحاث في المشرق والمغرب .

فمن الثابت أن العرب مفطورون على حب البلاغة والأدب والنثر والشعر والخطابة ، وكانوا يقيمون في كل عام مواسم يتبارى فيها الشعراء والخطباء وذلك لسببين :

الأوّل : أن حياة الصحراء تدعو إلى التأمل ، وإثارة العواطف ، وإنماء الخيال ، وتُلْهِمُ الشاعرية ، وتُوحِي بضروب الكلام .

الـــثاني : أن حياتهم القبلية كانت مدعاة للتفاخر والتخاصم ، والمنازعات والحـــروب ، لذلك كانوا في حاجة إلى الشاعر البليغ الذي يرفع من منـــزلة قبيلـــته ، ويعلي من شأنها ، ويحط من قدر القبيلة الأخرى المتنازع معها ، من هـــنا كثر اهتمامهم بالخطابة والنثر والشعر ، فرفعوا مكانة الشاعر الذي يأتي بالروائع والخطيب البليغ ، مما أدى إلى ظهور كثير من فحول الشعراء .

فجاء القرآن الكريم أفصح كلاماً ، وأبلغ أسلوباً ، وأعمق معنى ، فاستولى على عقول أهل الجزيرة العربية بسبب أنه أقوى منها فيما هي قوية فيه بحيث شَعَرَ أهلُها بالعجز والضعف ، ولا عجب في ذلك فمن طباع النفس الإنسانية الـــتي فطـــرت علـــيها أنها متى خذلت وكان خذلانها من قبل ما تعده أكبر فخـــرها ، وأجمـــل صنعها ، وأعظم همها ، أصابها الوهن في ذلك ، وضربها الخذلان باليأس والتسليم .

ولكن زعماء الشرك أخذوا يحاربون الحق بالباطل والأوهام ، فقالوا : إن القرآن الكريم شِعْرٌ ، وسِحْرٌ ، وأساطير الأولين ، ورموا الرسول ﷺ بالكهانة تارة ، وبالجنون تارة أخرى .

ولما كان من عادة العرب أن يتحدى بعضُهم بعضاً في المساجلة بالكلام ، والمقارضة بالقصيد والخطب فقد تحدَّاهم القرآن الكريم في آيات كثيرة أن يأتوا بمـــثله ، أو بعضـــه ، أو بسورة من مثله ، وحِكْمَةُ هذا التَّحَدِّي وروده في القـــرآن الكـــريم أن يشهد التاريخ في كل عصرٍ بـــعَجْزِ العرب عنه ، وهم الخطباء اللدّ والفصحاء اللسن ، حتى لا يجيء كاذب أو منافق ، أو ذو غفلة

فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله ، وأنه غير معجز .

وانتهج القرآن الكريم في هذا التحدث منهجاً منطقياً واقعياً حتى وصل إلى الحقيقة المطلقة في هذا التحدي عن طريق استخدام التدرج في الطلب ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

هكذا طلب القرآن الكريم منهم إنشاء كتاب مثل القرآن الكريم وكان قد نزل قبل طلبه هذا سبع وأربعون سورة .

وعجز العرب أن يأتوا بكتاب مثل القرآن الكريم حين حاولوا أن يردوا على هذا التحدي فعجزوا ، ولذا نرى القرآن الكريم يخاطبهم بأنهم لن يستطيعوا ، بل ولن يستطيع الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله ، قال - جل ذكره - : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٢) .

ويمضي القرآن الكريم خطوة أخرى في تحديهم فطالبهم بأن يأتوا بعشر سور ، قال - تعالى - : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم

(١) (القصص : ٤٩ - ٥٠) .
(٢) (الإسراء : ٨٨) .

مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ومرة أخرى يعجز الذين ادعوا أن القرآن الكريم من تأليف رسول الله - عليه الصلاة والسلام - واختلاقه أن يأتوا بعشر سور من القرآن الكريم مُخْتَلَقَات كما يدَّعُون ، وأثبت التاريخ هذا العجز منذ نزول القرآن الكريم وحتى عصرنا الحالي ، وسيظل هذا العجز قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها .

ثم يمضي القرآن الكريم خطوة ثالثة ، فطالب بالإتيان بسورة واحدة ، قال - عز وجل - : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

وفي هذا القضاء الحاسم من الله - تعالى - بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به يعني بوضوح أنه من عند الله - تعالى - .

وبلغاءُ العرب - وقتها - كثيرون ، ومنهم من كان يضمر للدعوة الإسلامية العداء ، فلو وجدوا في بلاغة القرآن الكريم منفذاً من ضعف لجاهروا بذلك ، ولأتوا بأقوال تفوق بلاغته .

ثم امتدت الأجيال وتوالت العصور ، والعلماء والأدباء ، والبلغاء ، والنُّقَّاد ، والمؤلفون في كل عصر يعترفون بإعجازه ويُقِرُّون بقصورهم عن

---

(١) (هود : ١٣-١٤) .

(٢) (البقرة : ٢٣ - ٢٤) .

بلوغ منـــزلته في البلاغة والفصاحة والبيان .

قـــال « الباقلاني » : « إن نظم القرآن على تصرف وجوهه خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب ، ومُبَاين [1] للمألوف من ترتيب خطابهم ولـــــه أســـلوب يخـــتص بـــه ، ويتمـــيز في تصـــرفه عن أساليب الكلام المعتاد . [2]

ومن ذلك يتضح جلياً أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه ، ويعدّ خروجه عن أساليب الدليل دليلاً قاطعاً لأدنى شكٍّ على أنه ليس من كلام البشر ، وإن هناك فروقاً بين أسلوبه وأساليب الناس .

وإذا كان هذا فيما يتعلق بإعجازه اللفظي واللغوي والبلاغي فإن جوانب إعجازه الأخرى ، أَسْمَى من أن تنال منها أية افتراءات أو أقاويل .

وإذا كانت معجزات الأنبياء السابقين - عليهم السلام - معجزات مادية حســـية فـــإن معجـــزة محمد ﷺ معجزة روحية ، عقلية ، علمية ، بيانية ، إنســـانية ، إضافة إلى جملة معجزاته المادية الحسية ، وقد خَصَّه الله - تعالى - بالقـــرآن الكـــريم معجزة العقل الباقي على مر الزمان ، ليراها ذوو القلوب والبصائر ، فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر .

ولله درّ القائل :

---

(١) مباين : مخالف .

(٢) « إعجـــاز القرآن للباقلاني » قدم له وشرحه وعلق عليه الشيخ محمد شرف سكر ، دار إحياء العلوم، بيروت ، الثالثة ، ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٤ م .

جاء النبيون بالآياتِ فانصَرَمَتْ وجئتَنا بكتابٍ غيرِ مُنصرِمِ

آياتُهُ كلما طالَ المَدَى جُدُدٌ يزينهنَّ جمالُ العِتْقِ والقِدَمِ

فالقرآن العظيم كلام الله - تعالى - المعجز للخلق ، في أسلوبه ، ونظمه ، وفي روعته ، وبيانه ، وفي علومه ، وحكمه ، وفي تأثير هدايته ، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية ، ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان عن وجوه إعجاز القرآن الكريم ، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان ، وقد أجمع أهل العربية قاطبة وأهل اللسن منها والبيان ، على أن القرآن الكريم معجز بذاته ، أي أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه ، وروعة بيانه وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه فيه أسلوب ، لا من نثر ولا من شعر ، ومسحته اللفظية الخَلاَّبة التي تتجلى في نظامه الصوتي ، وجماله اللغوي ، وبراعته الفنية .

قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (١) .

وإعجاز القرآن الكريم ليس في « الفصاحة والبلاغة » فحسب بل هناك وجوه أخرى لإعجاز القرآن الكريم ، وقد أجاد « القرطبي » - رحمه الله - في تفسيره فَعَدَّ عشرة أوجه لإعجاز القرآن الكريم (٢) كما ذكر الشيخ

---

(١) (النساء : ٨٢) .

(٢) « الجامع لأحكام القرآن » (١ : ٦٩ - ٧٨) .

« عـــبد العظيم الزرقاني » [1] أربعة عشر وجهاً من وجوه الإعجاز ، ومن تلك الوجوه – باختصار – :

أولاً : النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب .

ثانياً : الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية .

ثالثاً : الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها .

رابعاً : التشريع الدقيق الكامل الذي يفوق كل تشريع وضعي .

خامساً : الإخبار عن المغيبات التي لا تُعْرف إلا بالوحي .

سادساً : عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها .

سابعاً : الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد .

ثامـــناً : العلوم والمعارف التي اشتمل عليها ، (العلوم الشرعية ، والعلوم الكونية) .

تاسعاً : وفاؤه بحاجات البشر .

عاشراً : تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء .

---

(١) « مناهل العرفان في علوم القرآن » (٢ : ٢٢٨ وما بعدها) .

الإساءة للقرآن في بلاد الإسلام :

إذا كـــان الهجوم على القرآن الكريم أمراً غير مستغرب على المشركين ، وغـــلاة الـــيهود والنصارى وأذنابهم من العلمانيين واللادينيين في الغرب أو الشـــرق ، فـــإن العجـــب أن يتعرض القرآن الكريم للإساءة من قبل بعض المحسوبين على الإسلام والمنتسبين إليه في الدول الإسلامية ، وعلى الرغم من أن هذه الإساءة أو التطاول لا يرقى إلى حَدِّ الإنكار للقرآن الكريم - والعياذ بالله - ، أو التشكيك في أنه من عند الله ، إلا أنَّ خطره في كثير من الأحيان يكون أكبر من خطر المشركين والملاحدة ، لأنه يأتي من أشخاص أو جماعات مسلمة ، أو محسوبة على الإسلام .

لكن كيف يسيئ مسلم - فرداً أو جماعة - يؤمن بوحدانية الله ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله للقرآن الكريم ؟!

هـــذه الإســـاءة تكون في تعطيل أحكام القرآن الكريم في حياة الفرد أو المجـــتمع ، فعلى سبيل المثال : الفرد الذي لا يصلّي ولا يزكّي ولا يصوم ولا يقـــوم بجمـــيع التكاليف الواردة في القرآن الكريم هو مُعَطِلٌ لأحكام القرآن الكريم ، ومنكر لهذه الأحكام بلسان الحال لا بلسان المقال ، والمجتمعات التي لا تطبق شرع الله المستمد من الكتاب العزيز أول مصادر الشريعة ، أو تُطَبِّق بعض أحكامه وتتجاهل بعضها لصالح قوانين وضعية تُسيئ إلى القرآن الكريم ، وتُرَوِّجُ في ذات الوقت للأقاويل الباطلة التي تشكك في صلاحية المنهج القرآني وقدرتـــه على استيعاب جميع المستجدات وتلبية الاحتياجات الحياتية للإنسان

وتثير الارتياب لدى الناس عن سبب تنحيته عن الحياة ، وأنَّ ذلك قد يكون ناشئاً عن قصور فيه أو عدم قناعة بما فيه من تلك المجتمعات .

ومما يُؤْسَفُ له أنَّ كثيراً من المجتمعات الإسلامية والأفراد المسلمين يقعون في ذلك فعلاً ، على الرغم من أنهم لا ينطقون به قولاً ، فالمتعاملون بالربا ، ومتعاطوا الخمور وغيرها من المحرمات التي وردت في القرآن الكريم يسيئون لتعاليم القرآن بمخالفتهم لها ، كذلك أصحاب البدع والمحدثات ، يقعون في ذات الدائرة المشبوهة .

ثمت نماذج ووقائع عديدة تشير إلى الأخطاء التي تقع في حَقِّ القرآن الكريم من قِبَلِ جماعات أو أفراد ينتسبون للإسلام .

وبعض هذه الأخطاء قد يكون الدافع إليها هو الرغبة في المزيد من الطاعات أو الحماس المفرط ، من دون علم بأمور الشرع وعلوم القرآن الكريم ، إلا أنَّ الغالب الأعمّ في أسباب الوقوع في هذه الأخطاء هو الجهل ، وضلال العقل ، أو هوى النفس ، أو الانسياق وراء ما يروّج له أعداء الإسلام من فلسفات ، وأفكار ، ومذاهب ، ونظريات تَدَّعي الإعلاء من شأن العلم وإعمال العقل ، وتُخْفِي العِدَاء للإسلام ودستوره القرآن الكريم .

المعتزلة أول من أساؤوا للقرآن :

والمعتزلة من أول الذين أساؤوا للقرآن الكريم وتطاولوا عليه ، عندما اخترعوا بدعة القول بالمجاز والتأويل وتقديم العقل على النقل ، ودندنوا حولها وطنطنوا لها وسَخَّرُوا جميع ما يملكون من وسائل وأحابيل وحيل من أجل

إشاعتها والترويج لها ، باعتبارها أصلاً من أصول مذهبهم القائم على صرف كلام الوحي المنزل عن مراده وحقيقة معناه ، إلى معانٍ أخرى تخيلوها بأذواقهم .

والمعتزلة : نِحْلَةٌ بِدْعِيَّةٌ ظهرت مع بزوغ شمس القرن الثاني للهجرة في مدينة البصرة بالعراق .

سُمّوا معتزلة لاعتزال مرشدهم الأول « واصل بن عطاء » حلقة « الحسن البصري » العالم التابعي الجليل ، وذلك بعد أن اشتدَّ بينهما الجدل ، حول مصير مرتكب الكبيرة ، إذ قال « واصل » : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا هو مؤمن ولا هو كافر .

فغضب « الحسن البصري » - رحمه الله - وطرده من حلقته ، فاعتزل « واصل » إلى سارية من سواري مسجد البصرة ، بعيداً عن حلقة « البصري » وراح يقرر بدعته التي ذهب إليها بعد أن انضم إليه « عمرُو بن عُبَيْدِ بنِ باب » زوج ابنته وأقدم تلاميذه وناس كثير [1] .

وقد ابتدع المعتزلة القول بتقديم العقل على النقل ، وتحكيمه على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتسليطه عليها ، فاتخذوا العقل إماماً يُهْتَدى بهديه وتُتَرَسَّمُ خُطَاهُ ، ويُبْنَى على ضوئه ، وجعلوه أول الأدلة الشرعية ، مقدماً في ذلك على الكتاب والسنة والإجماع ، وبهذا أهملوا قدسية النصوص ،

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١٣ : ٣٤٣ - ٣٤٦) .

قرآناً وسنة وأقاموا العقل مكانها حَكَماً لا ترد كلمته ، ولا يعارض حكمه ، حتى إن « إبراهيم بن سيار النظام »[1] أحد أبرز أقطاب المعتزلة قال في ذلك : « إن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار » !

وقالوا أيضاً بنفي صفات الخالق - تبارك وتعالى - وغلوا في ذلك غلوّاً كبيراً ، حتى سُمّوا بالمعطلة ، وانغمسوا في جدل عقيم حول ذات الله وصفاته ، وانتهوا إلى أن صفات الله هي عين ذاته ، قائلين : علم الله هو الله ، وقدرته هي هو ، فالتقوا بذلك مع الجهمية في نفيهم لصفات الباري وإنكارهم لها .

ولعل أكثر ما عرف عن المعتزلة هو افتجارهم لبدعة القول بخلق القرآن الكريم ، التي شغلوا بها عامة المسلمين في عصر الخليفة العباسي المأمون عام ٢١٨هـ وما بعده .

بل وأضافوا إلى ذلك إنكارهم لإعجاز القرآن ، فقالوا بأن نظم القرآن وحُسْن تأليفه ليس بمعجزة النبي ﷺ ولا دلالة فيه على صدقه في دعواه النبوة ، ذلك أن القرآن كتابٌ كسائر الكتب المُنَزَّلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، أما نظمه وحُسْنُ تأليفه فإن العباد قادرون على مثله ، وعلى ما هو أحسن منه في التنظيم والتأليف ، وأن العرب لم يعارضوه فقط ؛ لأن الله صرفهم عن ذلك .

وهذه من هرطقاتهم وإلقائهم الكلام على عواهنه فأين دليل الصّرْفَة ونحن

---

(١) انظر ترجمته في « لسان الميزان » (١ : ٢٩٥) .

نجد في التاريخ ما بين محاولات عديدة لتأليف سور مثله جاءت مضحكة ، ثم إذا كان الله صرفهم وهو قادر على ذلك ألا يكون قادراً على أن يقول كلاماً معجزاً في ذاته ؟ أليس البشر أنفسهم يغلب بعضهم بعضاً في نظمه أو نثره ؟ وما زالت قصائد تُعَدّ من عيون الشعر لا تبارى حتى اليوم فلم يريد نزع صفة الإعجاز عن القرآن الكريم وهو كلام الله ؟ ألا ساء ما يصفون .

وقال خصوم المعتزلة : إن كلام الله هذا المسموع قديمٌ غير مخلوق ولا مُحْدَث ، لأنه من الله – سبحانه وتعالى – وإن حسن لغته ونظمه هي جانب من جوانب الإعجاز العلمي الإلهي ، وقد تحدَّى الله العرب أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثله .

وعلى الرغم من أن بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين يرون أن المعنى المراد الذي أراده المعتزلة من القول بأن القرآن الكريم مخلوق ومحدث ، إنما كان مقصوداً به بالدرجة الأولى تنزيهُ الذات الإلهية ، إلا أن عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين يتفقون على أن المعتزلة جنحوا عن المنهج السديد ، الملتزم بالكتاب والسنة ، ومالوا إلى المناهج الفلسفية ، يونانيةً كانت أو هِنْدِيَّةً ، نصرانية أو يهودية ، بوذية أو زرادشتية ، وجعلوا هذه المناهج رافدهم ومرجعيتهم في النظر للقرآن الكريم .

قال الشيخ « محمد محيي الدين عبد الحميد » وكان المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها تأييد نزعاتهم ، فبعض أقوالهم نَقْلٌ بَحْتٌ مِنْ أقوال فلاسفة اليونان ، وبعضها يُسْتَقَى من نبعه ويغترف من معينه

بشيء من التحوير والتعديل .

ويدعم هذا القول أن كثيراً من أقطاب المعتزلة كانوا من الأدباء والفلاسفة والعقلانية ، والذين استطاعوا خداع خلفاء بني العباس المأمون والمعتصم ، واستعدوهم على عدد من كبار الأئمة والعلماء ، منهم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي سُجِنَ وَعُذِّبَ لرفضه النُّزول على رأي المعتزلة ، وإصراره على القول بأن القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق .

والمعتزلة قوم أخطؤوا الطريق ، وضلوا الجادة، وانحرفوا عن المنهج السديد، مما أثار حفيظة أئمة الأُمّة عليهم فانبروا يتصدون لهم ويُعرّون سوأتهم ، فهذا « أبو يوسف » تلميذ « أبي حنيفة » - يُسأل عنهم فيقول : « هم الزنادقة » ، وهذا فقيه المالكية بالمشرق « ابن خويز منداد » قال فيهم : « أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع » [1] .

أما الإمام « الشافعي » - رحمه الله - فقد كان يرفض قبول شهادة المعتزلي أسوة بمالك وفقهاء المدينة ، وهكذا صار الاعتزال عنواناً على البعد عن الشريعة وعلى المروق من الدين .

الباطنية وإساءة تفسير وتأويل القرآن الكريم :

بعد أن أذن الله ﷻ لرأيه الحق والتوحيد بالعزّ والتمكين في فترة زمنية قصيرة ودالت دولتا كِسْرَى وقيصر وانتشر الإسلام في ربوع الأرض ، وأقبل

(١) « جامع بيان العلم وفضله » (٢ : ٩٦) .

الـــناس يدخلـــون في دين الله أفواجاً لِمَا رأوا في الإسلام من صفاء العقيدة والعـــدل وصـــدق المعاملة ، رأى نَفَرٌ من الحاقدين والمارقين الذين نظروا إلى هـــذه الدعوة من منظار الشعوبية والقومية الضيقة في الإسلام هدماً لأمجادهم السابقة ، فأضمروا الحقد لأهله .

ولأنهـــم لم يكـــن لديهـــم قدرة عسكرية مادية بحيث يواجهون الإسلام ويحـــاربون أهلـــه فقـــد تظاهروا باعتناق الإسلام ، ولكنهم بدؤوا يدسون الدسائس ويدبرون المكائد ويحرفون منهج الإسلام وتعاليمه ليلتقي بالتالي مع اتجاهاتهم الخفية المنحرفة .

ولقـــد اتخذت معظم الحركات الهدامة والجماعات الباطنية من بلاد فارس مقـــراً لها ، وبمرور الوقت أصبح لها امتداد في مصر وبلاد الشام وغيرها من البلدان .

وأول مـــا فعلـــه هـــؤلاء هـــو تفسير كتاب الله ﷻ بما يوافق أهواءهم وافـــتراءاتهم ؛ لأنـــه لا يخفى على أحد أن الله ﷻ قد تكفّل بحفظ كتابه من الزيادة والنقصان وأجمع المسلمون وغير المسلمين على ذلك .

فـــلم يكـــن أمـــام هؤلاء إلا أن يُحَرّفوا معاني كلام الله ويصرفوها عن ظواهرها المرادة إلى معان قائمة في نفوسهم مسبقاً .

ومـــن المعلوم أن هناك نصوصاً عامة في كتاب الله يختلف في فهمها بعض أهل العلم ولكنها تبقى في دائرة الفهم السليم .

ولذلـــك قـــال العلماء : إن السنة قاضية على الكتاب ، أي : إنها تبينه

وتوضـــحه وتفسره ، ولهذا نجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عـــنه - عـــندما أرسل « عبد الله بن عباس » - رضي الله عنهما - لإقامة الحجة على الخوارج قال لـــه : « جادلهم بالسنة ؛ فإنها أقطع للحجة ، وألزم للخصم ، ولا تجادلهم بالقرآن ؛ فإنه حَمَّال وجوه » [1] .

وقـــد اســـتغلت هـــذه الفرق الباطنية الحاقدة عمومات كتاب الله - عز وجل - لتأويله تأويلاً يخرجه عن صدق منهجه وهدايته .

ولقـــد ارتبطـــت هذه التيارات باتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية ساعدت على ظهورها وانتشارها ، وقد ظهرت في شكل انقلابات مفتقرة إلى الضـــوابط أو المفاهـــيم كمـــا اتسمت بطابع العنف لأنها عجزت عن تحقيق أهدافها بالوسائل المشروعة ، وتدخل هذه الفرق المختلفة تحت مسمى واحد هو (الباطنية) .

والباطنـــية لقـــبٌ عـــام تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة ، والصفة المشـــتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى ، وقد يصل التباين بينهما حدّ التناقض الخالص ، فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة وأن الطقوس والشـــعائر بل والأحكام العلمية هي الأخرى رموز وأسرار ، وأنّ عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور ، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة

---

(١) انظـــر « لسان العرب » (حمل ١١ : ١٧٥) و« فتح القدير » (١ : ١٢) « قوله : حمال وجوه » أي : ذو معانٍ مختلفة .

التي هي من شأن أهل العلم الحق علم الباطن - على حد زعمهم - ، قاتلهم الله أنى يؤفكون [1] .

ومن أشهر الفرق التي سلكت هذا الطريق : القرامطة ، والخُرَّمِيَّةُ [2] ، والإسماعيلية [3] ، والمحمرة ، ويتبعهم كذلك النصيرية [4] ، أو العلوية ، وغيرهم من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وتلبيساً .

ويمكن القول : إن هذه التأويلات الباطنية تستند في أصولها إلى جذور يونانية فلسفية قديمة ، وإلى جذور يهودية أو نصرانية .

ويؤكد أهل العلم أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين فوضع الحاقدون أساساً من أنفسهم وتأولوا آيات القرآن الكريم وسنن النبي ﷺ على موافقة أسسهم .

قال الباطنيون : إن من عرف الأئمة والأبواب فلا حاجة له إلى صلاة أو زكاة أو عبادة ؛ لأن عين العبادة معرفة الأئمة والدعاة ، وأسقطوا التكاليف عن أتباعهم ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم ، ويستميلوا العامة ، وأظهروا الزهد

---

(١) انظر « الفصل في الملل والنحل » (١ : ٣٤) .
(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٣ : ٨١) .
(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٤ : ٦٣٥) وغيرها .
(٤) انظر « البداية والنهاية » (١٨ : ١٦٨) .

والعبادة لِيُغْرُوا بذلك عامة الناس [1] .

وزعم بعضهم أن النار والأغلال هي التكاليف الشرعية المفروضة على الجهال بعلم الباطن .

ولقد انصبت تأويلاتهم المنحرفة على جميع مبادئ الإسلام من دون استثناء ، سواء منها مسائل العقيدة أو الشريعة ، واستعانوا لجلب الأتباع بإباحة الشهوات ، فاستخدموا النساء والحشيش ، كما استغلوا الفوارق الاجتماعية والمالية لِبَثِّ الأحقاد والكراهِيَةِ في نفوس الناس ، واستعداء بعضهم على بعض .

ولقد التقت بعضُ الفِرَق الصوفية هذه الفِرَقَ الباطنية في تأويلاتهم المنحرفة لكتاب الله - عز وجل - ، وإن كانت الصوفية أقل غلواً ، وأخف كيداً من هؤلاء ، ولكنهم يلتقون معهم في منتصف الطريق ، وخاصة أصحاب الحلول والاتحاد ؛ حيث يوافقونهم في تأويلاتهم الباطلة المنكرة التي تثير السخرية والضحك في مجموعها .

والمشاهَد أن مثل هذه التأويلات لقيت هوى لدى بعض ضعاف النفوس في العصر الحديث ، ومثال ذلك : ما ذهب إليه « طه حسين » في كتابه « الشعر الجاهلي » ، من وجود اتفاق بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم من حيث تأثرهما بقصص اليهود والنصارى ، وتشكيكه في صحة ما ورد في القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقوله بأن القرآن يمثل

---

(١) « الكامل في التاريخ » (٦ : ٤٤٨) .

العصر الجاهلي بشخصه ، وأنه أصدق مرآة للجاهلية ، وعلى الرغم مما تردد عن تراجع « طه حسين » عما جاء في هذا الشأن ، فإنه شغل الأمّة بهذه الآراء رَدْحاً من الزمن ، وأَحْدَثَ نوعاً من البلبلة والفتنة ، وهو بقوله هذا إنما يردد كلام أحد المستشرقين بنصه ، وقد فضحه الأستاذ « محمود محمد شاكر » - رحمه الله - وكشف أمره . كما تصدى له الأستاذ « الرافعي » - رحمه الله - في كتابه المعركة « تحت راية القرآن » .

وعلى هذا الطريق ذاته سار عدد من المفكرين والمثقفين وأساتذة الفلسفة والأدباء ، فتجرؤوا على القرآن الكريم بصورة أو بأخرى ، فمنهم من قال بعدم إعجاز لغته وأسلوبه ، وكَتَبَ في معارضة ذلك شعراً أو نثراً ، وآخرون شككوا فيما جاء في الوقائع والأحداث التي يرويها القرآن الكريم عن الغابرين ، وفئات تطاولت على القرآن الكريم فيما تكتب من أعمال ذات طابع أدبي أو فني .

وفي نفس الاتجاه والامتداد تأتي جماعات التكفير وجماعات العنف ومَنْ على شاكلتهم في تأويل آيات القرآن الكريم بما يخدم أهدافهم وأفكارهم ومصالحهم ، من دون أدنى مراعاة لضوابط التفسير من أسباب نزول الآيات ، وحكم القياس عليها وغيرها من الضوابط التي لا يجيدها العامة ، ومثال ذلك : ما يستند إليه المتطرفون والغلاة من تفسيرات مغلوطة لآيات الجهاد ، وحدود طاعة ولاة الأمر ، وقتل من يخالفهم في الدين ، وتكفير من يخالفهم في الرأي .

ومما يُؤْسَفُ له أنّ هذه الجماعات المنحرفة تم استغلالها من قبل أعداء الإسلام للإساءة للإسلام عموماً والصَّدِّ عن طريق الله ، وتعطيل جهود الدعوة والإخلال بأمن المجتمعات الإسلامية ، ولا سيما أنّ التفسيرات المغلوطة لنصوص القرآن الكريم ، اعتمدت من قبل بعض هذه الجماعات والفئات الضالة لارتكاب أعمال تنافي وتخالف مقاصد الشريعة .

ومما يؤسف له أن الفرق المبتدعة الضالة التي تأثرت بالفلسفات اليونانية والإغريقية القديمة ، وغيرها من النظريات والفلسفات الغربية الحديثة ، وجدت من يتبنى أفكارها بدرجة أو بأخرى من المفكرين والمثقفين والفلاسفة والأدباء المحسوبين على الإسلام ، ولا سيما ممن تأثروا بأفكار الفلاسفة المعاصرين في الغرب .

ومن فضل الله - سبحانه - الذي تَكَفَّلَ بحفظ القرآن أنْ سَخَّرَ لهذه الفئات جميعاً من العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين مَنْ استطاعوا أَنْ يُفَنِّدُوا مزاعمهم ، ويثبتوا زَيْفَ دعاواهم ، ويكشفوا عن علاقتهم بالقوى المعادية للإسلام .

المبحث الخامس

حملات الهجوم على جمعيات ومدارس التحفيظ

أسبابها – أهدافها – تأثيرها – آليات الرد عليها

دراسة ميدانية استطلاعية

كل المؤشرات تقول : إن الحملات العدائية على جمعيات ومدارس تحفيظ القـــرآن الكريم في بلادنا المباركة واتهامها بتفريخ الإرهاب وتكريس التطرف والغلو ، مجرد حلقة في سلسلة من الافتراءات يطلقها أعداء الإسلام في الخارج وأذنـــابُهم في الداخـــل ضـــد القرآن الكريم بهدف تهميش مكانته في قلوب المســـلمين ونفوســـهم ، وتعطيل مناشط تحفيظه ، وإضعاف ارتباط الناشئة والشباب بتعاليمه .

وقد يتساءل البعض لماذا حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم في المملكة فقط هي التي تتعرض لمثل هذه الحملات ، وفي هذه الآونة بالذات ؟

والإجابـــة عـــن هذا السؤال تتلخص في أن أعداء الدين الذين دأبوا على اســـتغلال الأحـــداث السياســـية في إطـــلاق سهام حقدهم ضد الإسلام والمســـلمين ، وجدوا في أحداث الحادي عشر من (سبتمبر) التي وقعت في الولايـــات المتحدة الأمريكية ، والتي اتُّهم فيها عدد من الشباب السعوديين ، ومـــا تلاها من انطلاق ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب ، ومن دون وجود تعـــريف واضـــح لماهيّة هذا الإرهاب ، وجدوا الفرصة المواتية لإلصاق تهمة الإرهـــاب بالإســـلام ، مستفيدين في ذلك من الصورة الذهنية المشوهة التي يُكَرِّس لها الإعلام الصهيوني عن الإسلام في الغرب ، وعدم معرفة أبناء كثير من المجتمعات الغربية بحقيقة الإسلام والقرآن الكريم .

يؤكد ذلك أن هذه الحملات لم تستهدف جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم فقط ، بل استهدفت أيضاً المناهج التعليمية الدينية أيضاً ، من توحيد ،

وفقه ، وتفسير ، وحديث ، وغيرها ، وبعيداً عن الدراسات التنظيرية وإصدار الأحكـــام الجاهـــزة في نقد وتحليل هذه الحملات من وجهة نظر آحادية ، حرصـــنا عـــلى أن نعرف كيف ينظر المجتمع السعودي إلى هذه الحملات : أسبابها ، وأهدافها ، وتأثيرها ، والوسائل التي تتبعها لتحقيق أهدافها ، وآليات مواجهـــة هـــذه الحملات ، والرد عليها دفاعاً عن القرآن الكريم والإسلام ، وذلك من خلال دراسة ميدانية شملت أكثر من (٣٠٠ من عمداء وعميدات الكلـــيات الجامعـــية والـــتربوية ، ومديري تعليم البنين والبنات ، ومديري الإشـــراف التربوي (بنين وبنات) ، ورؤساء جمعيات التحفيظ ومسؤولات الأقســـام النسائية ، والطلاب الدارسين بحلقات ومدارس التحفيظ ، من جميع مـــناطق المملكة (يمثلون عينة الدراسة) ، من خلال استبانة حَوَتْ عدداً من الأســـئلة التفصـــيلية بهدف الوصول إلى رؤية واضحة وفاعلة وأمينة ، تكون أساساً للتعامل الناجح والواعي مع مثل هذه الحملات .

وذلك من خلال أمور عِدَّة على النحو الآتي:

١- اختـــيار عيـــنة الدراسة : حيث حرصنا على أن تضم عينة الدراسة مســـؤولي التعليم العالي والجامعي ، والتربويين ، ومسؤولي جمعيات ومدارس التحفـــيظ ، والدور ، والمدارس النسائية التابعة لها ، في جميع مناطق المملكة ، كذلك الطلاب والطالبات الدارسين بهذه المدارس والجمعيات وأولياء الأمور .

٢- منهج البحث : اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي ، والتحليلي الكمّي لآراء عَيّـــنة الدراسة ، بهدف الوصول إلى نتائج واضحة ، ورَصْدٍ دقيق لمدى

تأثير هذه الحملات .

٣- أداة الدراسة : في ضوء تحليل محتوى وأبعاد الحملات العدائية ضد جمعيات ومدارس التحفيظ ، في وسائل الإعلام الغربي ، والانتقادات الموجهة لأداء هذه الجمعيات تَمَّ إعداد استبانة نستطلع من خلالها آراء جميع أفراد عينة الدراسة ، حول عدد من المحاور على النحو الآتي :

١- أسباب هذه الحملات :

أجمع المشاركون في الدراسة على أن السبب الرئيس لحملات الهجوم على جمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم ، واتهامها بتفريخ الإرهاب هو العداء للإسلام ودستوره القرآن الكريم والرغبة القديمة المتجددة في تشويه صورته وتعطيل مناشط الدعوة إليه ، وزعزعة مكانة العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين ، والاستفادة من أخطاء بعض المحسوبين على الإسلام ممن يقعون في دائرة الغلو والإرهاب في ذلك ، مما هو موجود في كلّ ديانة ، وكلّ مجتمع .

٢- أهداف هذه الحملات :

أشار المشاركون في الدراسة بنسب متفاوتة إلى أن هذه الحملات ضد جمعيات ومدارس التحفيظ ترمي إلى تنفير الناس من الإسلام ، والتشكيك في القرآن الكريم من خلال عدد من الأمور يمكن تلخيصها في الآتي :

- إشاعة أن القرآن الكريم يدعو إلى العنف والترويج لذلك في إطار محاولات ربط الإسلام بالإرهاب بمعناه العائم غير المحدد .

- التشـــكيك في خيريـــة مناشط تحفيظ القرآن الكريم ، وعرقلة تمويلها ودعمها .
- الإســـاءة إلى الإســـلام من خلال الإساءة إلى القرآن الكريم وحفظته ومعلميه .
- ممارسة نوع من الضغط بهدف محاصرة التعليم الديني ، ولا سيما حفظ القرآن الكريم ، والسنة ، وعلومهما .
- الحـــيلولة دون إقـــبال الشباب على حفظ القرآن الكريم ، من خلال تخويف الآباء والأمهات من دفع الأبناء لحلقات ومدارس التحفيظ .
- الادّعاء بأن الدراسة في حلقات التحفيظ تتعارض مع التحصيل العلمي بالمدارس والجامعات .
- تهميش دور حفظة القرآن الكريم في المجتمع ومناشط الدعوة على وجه الخصوص .

والرســـم البياني الآتي يوضح أبرز أهداف هذه الحملات كما يراها مجتمع الدراسة :

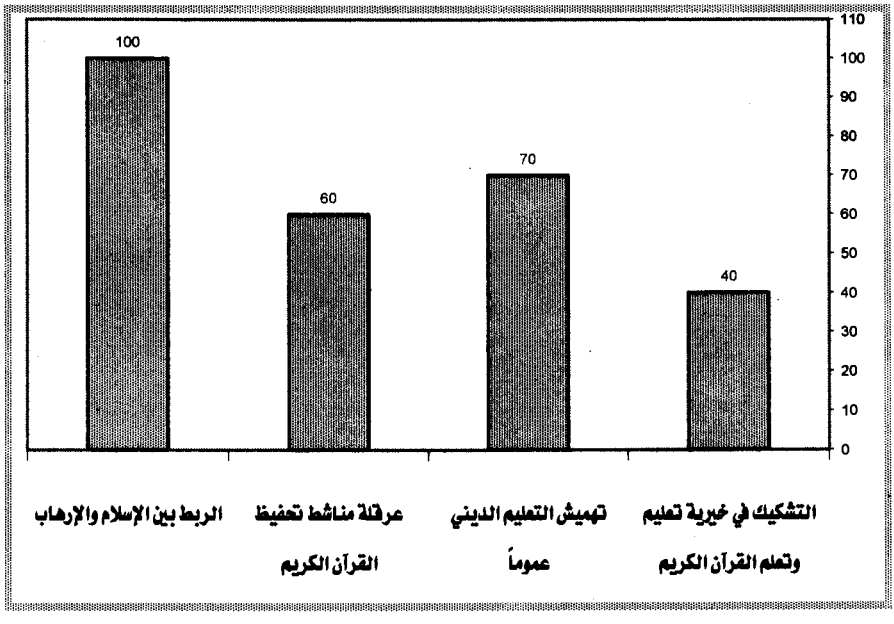

٣- العوامل الداعمة لهذه الحملات :

اختلف المشاركون في الدراسة حول أكثر العوامل التي تستند إليها حملات الهجوم على جمعيات ومدارس التحفيظ واتهامها بتفريخ الإرهاب والتطرف ، حيث أكد أكثر من (٦٠%) من المشاركين كما هو موضح بالرسم البياني الآتي أن أحداث الحادي عشر من (سبتمبر) وما تلاه من الحروب ضد الإرهاب ، وما ارتكبه بعض المحسوبين على الإسلام من أعمال إرهابية داخل وخارج المملكة هو العامل الرئيس وراء ظهور هذه الحملات ورواجها ، بينما قال (٣٠%) إن الجهل بحقيقة الشريعة السمحة ، وتعاليم القرآن الكريم هو الأرض الخصبة لمثل هذه الحملات الخبيثة ، وأشار (٨%) من أفراد العينة إلى ضعف الجانب الإعلامي في التعريف بإنجازات جمعيات ومدارس التحفيظ

وآلـــيات العمل بها ، وأشار (٢%) من عينة الدراسة إلى أسباب أخرى ، مثل : عدم وضوح آليات العمل في بعض الجمعيات ، والأخطاء التي قد تقع من بعض الدراسين بها .

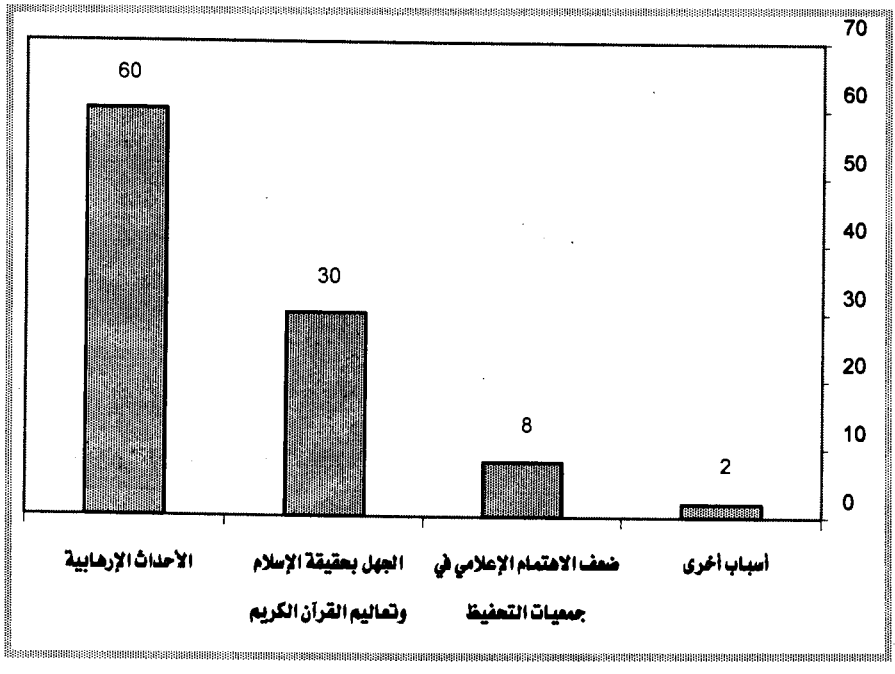

٤- تأثير هذه الحملات :

اتفق جميع من شملتهم الدراسة على تفاوت تأثير هذه الحملات ، من فرد إلى آخـــر ومن بيئة إلى أخرى ، باختلاف المستوى الثقافي والفكري والوعي الديني ، حيث قرر أكثر من (٧٠ %) من المشاركين أن هذه الحملات ذات تأثير سلبي محدود بين المتعلمين ، بينما قد يزداد هذا التأثير في المستويات الدنيا من حيث التعليم ، بينما أشار (٢٢ %) إلى نسبية التأثير ، وأكد (٧ %)

إلى أنها عديمة التأثير بينما قال (١ %) من العينة بتأثيرها السلبي على جهود العناية بالقرآن الكريم داخل المملكة ، بينما يزداد تأثير هذه الحملات في الدول الغربية والمجتمعات غير المسلمة .

والرسم البياني الآتي يوضح حجم التأثير السلبي لهذه الحملات على جهود ومناشط التحفيظ داخل المملكة :

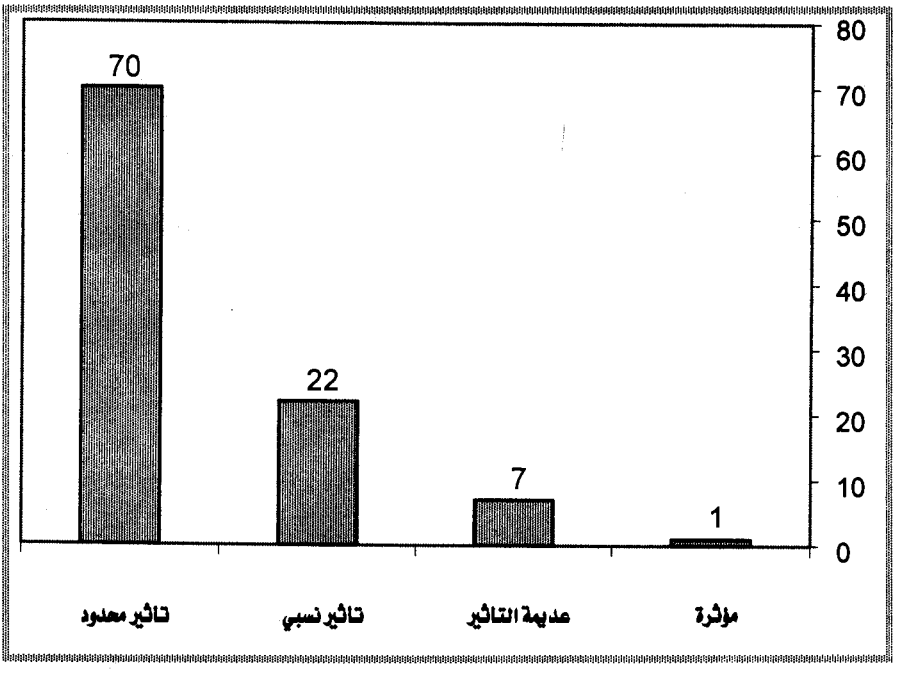

٥- مواجهة هذه الحملات :

كشف الدراسة الميدانية عن وجود تفاوت كبير بين آراء عينة الدراسة فيما يتعلق بالرد على الاتهامات الموجهة لجمعيات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم ، والآليات المقترحة لتفنيد وكشف أهداف هذه الحملات ، وهو ما يشير إلى

عدم وجود استراتيجية مجتمعية واضحة في هذا الصدد ، على الرغم من وجود اتفاق عام على رفض هذه الاتهامات ، حيث طالب أكثر من (٥٠ %) من أفـــراد العينة بعدم الانشغال بهذه الحملات ، أو الالتفات إليها ، في إشارة إلى أن الانشغال بها يمنحها قدراً من النجاح و التأثير والرواج ، مؤكدين أن مصير هذه الحملات هو الفشل ، شأنها في ذلك شأن جميع الافتراءات السابقة ضد القـــرآن الكـــريم وأهلـــه ، بينما أشار (٢٨ %) من أفراد العينة إلى أهمية التصدي لهذه الحملات وتفنيد الاتهامات الموجهة لجمعيات ومدارس التحفيظ بكافة الوسائل الممكنة ، دون تحديد لماهية هذه الوسائل ، ليس دفاعاً عن هذه الجمعيات فقط ، بل دفاعاً عن القرآن الكريم دستور الإسلام والمصدر الأول للشريعة الإسلامية .

بينما قال (١٢ %) من عينة الدراسة بوجوب التصدي لهذه الحملات ، وطرحوا عدداً من الآليات اللازمة للنجاح في تفنيد أباطيلها ، وتحجيم تأثيرها السلبي .

والرسم البياني الآتي يوضح آراء عينة الدراسة بالنسبة لمواجهة هذه الحملات :

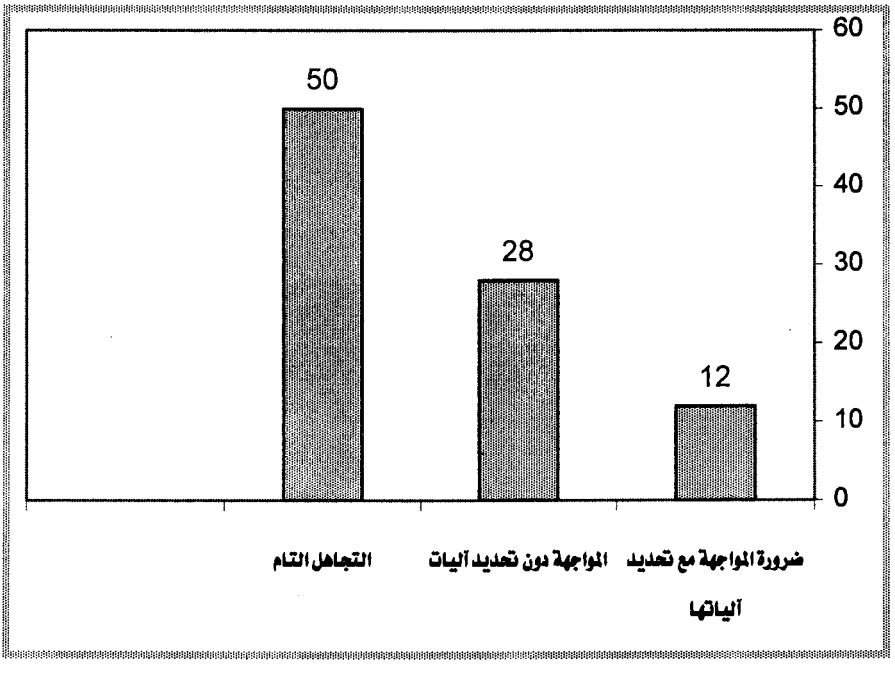

وفي ضـــوء آراء عينة الدراسة حول أسباب هذه الحملات ضد جمعيات ومـــدارس التحفـــيظ ، وأهدافها ، والعوامل الداعمة لها وتأثيرها ، والآليات المطلوبة لمواجهتها ، نخلص إلى عدد من النتائج على النحو الآتي :

١- أن اتهـــام حلقات ومدارس التحفيظ بتفريخ الإرهاب ينطلق من عداء للإسلام ورغبة في تشويه صورته الناصعة .

٢- أن هـــذه الاتهامات جزء من الحملات العدائية القديمة المستمرة ضد الإسلام ومصادر الشريعة .

٣- الأحداث الإرهابية وانطلاق ما يسمى بالحرب الدولية ضد الإرهاب

في بقاع متفرقة من العالم ، من أبرز العوامل التي تستند إليها هذه الحملات .

٤- ضعف الأداء الإعلامي في التعريف بمناشط جمعيات ومدارس التحفيظ وآليات العمل بها ، يخدم مثل هذه الحملات المغرضة ويمنحها قدراً أكبر من التأثير .

٥- أن رفض المجتمع المحلي لهذه الافتراءات ضد جمعيات ومدارس التحفيظ لم يتشكل بعد في استراتيجية واضحة المعالم للرد عليها .

٦- محدودية التأثير السلبي لمثل هذه الحملات بين أبناء المجتمع السعودي في العناية بمناشط التحفيظ ودعمها .

٧- أن أخطر ما في هذه الحملات أنها تستهدف الناشئة والشباب ، بهدف الحيلولة دون انتظامهم في حلقات ومدارس التحفيظ وتشكيك الآباء والأمهات في هذه الحلقات والمدارس ، بدعاوى تعارضها مع التحصل العلمي للطلاب .

٨- أن التأثير السلبي المباشر لهذه الحملات ينعكس بصورة أكبر على الصورة الذهنية للإسلام والقرآن الكريم في الخارج .

٩- أن هذه الافتراءات لا تنفصل عن الاتهامات الموجهة للعمل الخيري أو مناهج التعليم الديني في المملكة .

وعلى ضوء هذه النتائج حرصنا من خلال الدراسة على رصد وتحليل التأثير الكمي والكيفي لهذه الاتهامات الموجهة لحلقات ومدارس التحفيظ داخل المجتمع السعودي من خلال عدد من الأسئلة التفصيلية التي تم استنباطها

من تحليل مضمون دعاوى هذه الحملات ، ومن هذه الأسئلة :

ما صحة اتهام حلقات ومدارس التحفيظ بترسيخ الإرهاب ؟

أجمع أفراد العينة بنسبة (١٠٠ %) أن مثل هذه الاتهامات عارية تماماً من الصحة ، وأنها لا تنطلي على أبناء المجتمع السعودي ، وولاة الأمر فيه - أيدهم الله - ، وذلك لعدة أسباب ملموسة ، منها :

- أن جمعيات ومدارس التحفيظ موجودة وتمارس عملها منذ عقود طويلة دون أن يتم اتهامها بترسيخ الغلو أو الإرهاب .
- أن عددًا كبيرًا من العلماء والمسؤولين والمفكرين والمثقفين والأطباء والمهندسين وغيرهم من صفوة المجتمع تخرجوا في هذه الجمعيات والمدارس .
- أن عمل هذه الجمعيات والمدارس ، واضح وضوح الشمس ويتم تحت إشراف وتقويم الدولة، حفظها الله .
- أنّ القائمين على هذه الجمعيات والمدارس هم من الكفاءات التعليمية والتربوية المعروفة بالصلاح والتقوى والاعتدال وليس من بينهم واحد متهم بالغلو أو التطرف .
- أنّ مناهجَ التعليم والتدريس بهذه المدارس والجمعيات تخضع للإشراف والمتابعة من قبل الجهات الحكومية المختصة ، وكذلك مصادر تمويلها وإنفاقها .
- أنّ عددًا كبيرًا من خريجي جمعيات ومدارس التحفيظ هم من العاملين في

مجال الدعوة وفق تعاليم الشريعة ومنهج السلف الصالح .

- أنّ حَفَظَـةَ القرآن الكريم من خريجي هذه الجمعيات والمدارس ، وكذلك الدارسـون بهـا هم نماذجُ مشرفة في سلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين ، بعيدًا عن أي انحراف فكري أو أخلاقي .
- أن الأفكار الغالية والتطلعات الإرهابية لدى من قاموا بالأعمال التخريبية ليست من مفردات التعليم في الجمعيات، لا من قريب ولا من بعيد ، ولا مـن مفردات المناهج الشرعية في التعليم العام أو العالي ، وكلنا يعلم أنّ هـذه الأفكـار والطروحات تسللت إلى عقول بعض شباب الوطن عن طـريق الاحتكاك بجماعات مخالفة لمنهج السلف ، سواء في المناطق التي يوجـد بهـا جهاد أو عن طريق الإنترنت، أو غيره ، ومن ثم كَوَّنت لها خلايا خاصة خارج إطار الجمعيات أو التعليم .

هل نجحت هذه الحملات في تخويف الآباء والأمهات من دفع أبنائهم وبناتهم لحلقات ومدارس التحفيظ ؟

على الرغم مما أثبتته الدراسة من محدودية تأثير هذه الحملات داخل المجتمع المحـلي فإنـنا حرصنا على رصد معرفة حجم هذا التأثير المحدود من خلال اسـتطلاع رأي مسـؤولي جمعـيات التحفيظ، والآباء والأمهات باعتبارهم الشـريحة الأقـرب والأكـثر وقوفًا على حجم الإقبال وتشجيع الأبناء على الانتظام في حلقات التحفيظ .

ونحمـد الله أن جميع الآراء أكّدت أن اهتمامات حلقات ومدارس التحفيظ

بالإرهـــاب لا تجد آذانًا صاغية بين أبناء المجتمع ، وأن تأثيرها على الرغم من محدوديـــته ينطلق فقط من الادعاء بأن الدراسة في حلقات ومدارس التحفيظ تـــتعارض مع التحصيل العلمي في مراحل التعليم المختلفة ، حيث يبلغ إجمالي من تأثروا بهذا الادعاء أقل من (٢ %) بينما حدث تأثير نسبي بين (٨ %)، ولا ســـيما مـــع اقـــتراب مواعيد الاختبارات بالنسبة لحلقات التحفيظ في المساجد ، بينما بلغ إجمالي الرافضين لهذا الادعاء (٩٠ %) ، والرسم البياني الآتي يوضـــح حجـــم تأثير الادعاء بتعارض الدراسة مع الانتظام في حلقات ومدارس التحفيظ .

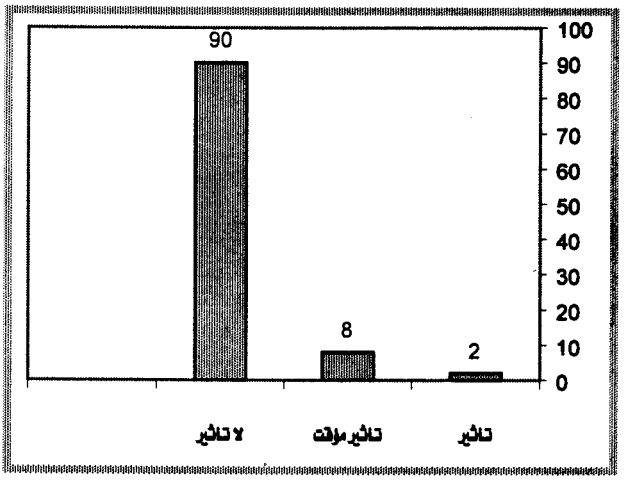

هل تأثر دعم المحسنين وأهل الخير لمناشط التحفيظ ؟

التشـــكيك في خيريـــة مناشط تحفيظ القرآن الكريم ، يهدف – ضمن ما يهـــدف إليه – إلى إثارة جوٍّ من الرّيبة تجاه ما يقدّمه المحسنون وأهل الخير من دعم وتبرعات لهذه المناشط ، فهل ثمت تأثير سلبي للاتهامات الباطلة لجمعيات

ومـــدارس تحفـــيظ القرآن الكريم ، من شأنها عرقلة دعم مناشطها في خدمة القرآن الكريم ؟ .

اتفـــق جمـــيع أفـــراد عينة الدراسة ، في هذا الشأن على أن دعم الدولة - حفظها الله - لجمعيات التحفيظ لم يتأثر مطلقًا بمثل هذه الادعاءات الباطلة حيث إنه ينطلق من حرص ولاة الأمر - حفظهم الله - على بذل الجهد كله والمـــال للعناية بالقرآن الكريم ، وإشاعة حفظه ، بينما أشار (٣ %) إلى أنَّ الدعـــم الأهـــلي تَأَثَّـــرَ بعض الشيء ، وأرجع أصحاب هذا الرأي ذلك إلى الحمـــلات السابقة التي استهدفت المؤسسات الخيرية صاحبة النشاط في مجال تحفيظ القرآن الكريم .

والرسم البياني الآتي يوضح مقدار التأثير السلبي لهذه الحملات على جهود المحسنين :

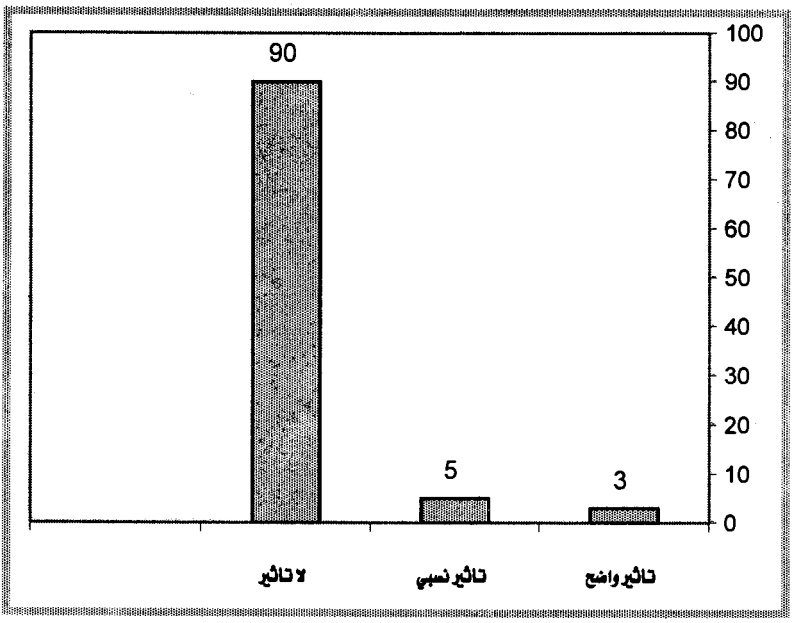

ما أفضل آليات مواجهة هذه الحملات ضد جمعيات ومدارس التحفيظ؟

كشـــفت الدراسة في محاورها الرئيسة السابق ذكرها أن أكثر من نصف أفـــراد العينة ، طالبوا بعدم الانشغال بهذه الحملات وما تُرَوِّجُهُ من اتهامات باطلة ، بينما أجمع بقية المبحوثين على أهمية مواجهتها وتفنيد دعاواها ، وإن تفاوتت آراؤهم حول أفضل آليات المواجهة .

وقـــد انعكس هذا التفاوت في الآراء بصورة واضحة في النظر إلى الجهود المبذولة في مواجهة هذه الحملات والرد عليها ما بين الرضا عن هذه الجهود ، واعتـــبارها كافية ، ولا سيما أن هذه الاتهامات ذاتها تحمل أدلة كذبها ، وبين المطالـــبة بتكثـــيف هذه الجهود ، وتوسيع نطاقها ، والاستفادة من تقنيات الاتصـــال الحديـــثة في هـــذا ، لكشف كذب هذه الاتهامات داخل المملكة

وخارجها على حد سواء .

والرسم البياني الآتي يوضح مقدار الرضا عن الجهود المبذولة في الرد على هذه الحملات :

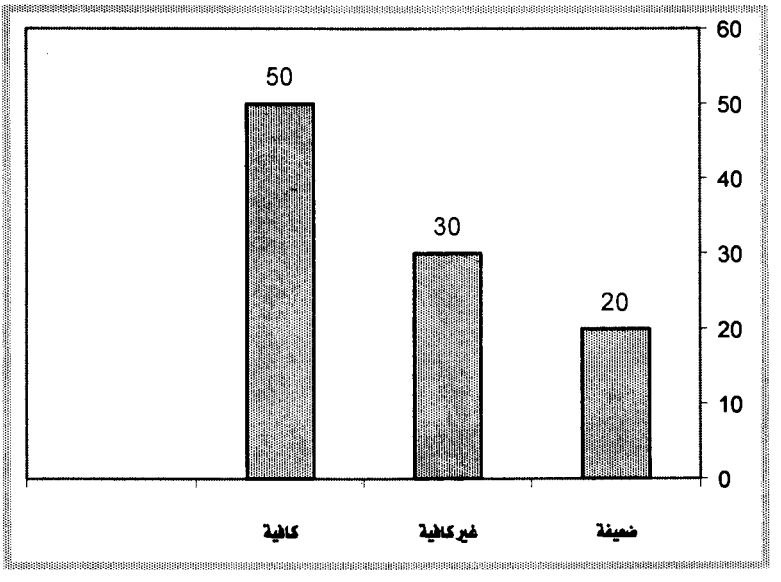

ومـــن ذلـــك نخلص إلى عدد من الأمور المهمة التي يجدر التوقف عندها بالنظر والتحليل ؛ وهي :

فشل اتهام جمعيات التحفيظ بتفريخ الإرهاب – بحمد الله – في تحقيق أدنى قـــدر من التشكيك في القرآن الكريم ، أو تقديم دليل واحد يؤكد أن القرآن الكريم يدعو إلى العنف أو استباحة الدماء .

ومردّ ذلك أن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا توجد فيه آية واحدة تدعو إلى العنف أو الإرهاب بوجهه الكالح الذي يمارس فيه صاحبه الترويع والقتل والتدمير بغير حق ، في حين توجد الكثير من الآيات التي تحض على التسامح والتراحم والتوادّ ، واحترام حقوق أهل الذمة والمعاهدين والدعوة إلى الله بالحسنى ، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر . انظر قولـــه - تعالى - : ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١) .

وانظر قولـــه - سبحانه - : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً ، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ، وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ، وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ (٢) .

هذا ما جاء به القرآن الكريم ، فأين الإرهاب المنكر وفق المنهج الشرعي لا وفق الأهواء والأمزجة ؟!

وأكثر من ذلك ، أن القرآن الكريم يتخذ موقفاً حازماً من كل من يعتدون على الحرمات بغير حق ، والمفسدين في الأرض ، والنصوص في ذلك كثيرة .

وكشفت الدراسة ضمناً أن اتهام حلقات التحفيظ بتفريخ الإرهاب يعتمد على تفسيرات مغلوطة وتأويلات فاسدة ومغرضة ، لبعض آيات القرآن الكريم وهذه التفسيرات والتأويلات ، تخالف جميع التفسيرات الموثوقة المؤكدة بالنسبة النبوية .

ولعـــل أبـــرز مـــثال على ذلك ، التفسير المغلوط لقولـــه - تعالى - : ﴿ وَأَعِـــدُّواْ لَهُـــم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُـــمْ ﴾ (٣) . حيث يعتمد أعداء الإسلام ومن على شاكلتهم من أبناء أمتنا على التأويلات المغلوطة لهذه الآية في اتهام الإسلام والقرآن بالإرهاب ،

---

(١) (لقمان : ١٨ - ١٩) .

(٢) (الفرقان : ٦٣ - ٦٨) .

(٣) (الأنفال : ٦٠) .

في حـــين أن العلماء الثقات قالوا في تفسير الآية : إن التوجيه الإلهي هنا هو امـــتلاك أسباب القوة ، للحيلولة دون وقوع الاعتداء على المسلمين ، وليس للاعـــتداء على الآخرين ، بما في ذلك المشركون والكفار ، بمعنى أن امتلاك القوة للردع وليس للعدوان [1] أليست الدول العظمى اليوم ترهب الآخرين بما تمتكله من أسحلة الدمار الشامل ، تتسابق فيما بينها للحفاظ على هذا التفوق بما يحقق مصالحها الخاصة ؟

- إن نجـــاح هـــذه الحملات في إحداث تأثير سلبي اعتمد بالأساس على مســـألة مرتبطة بالوقت والتنظيم مثال ذلك القول بتعارض الدراسة بالحلقات مع التحصيل العلمي ، وهو تأثير لا علاقة لـــه بدراسة وحفظ القرآن الكريم مـــن خلال الجمعيات أو المدارس أو غيرها ، وهنا فإن مسألة الرد على هذا الادعاء تصبح مسؤولية التربويين ورجالات التعليم وحتى الطلاب أنفسهم ، ولا ســـيما أن الأدلـــة عـــلى كـــذب هذا الادعاء موجودة ، في الكثير من الدراسات التربوية ليس داخل المملكة فقط ، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي والتي تثبت أن حفظة القرآن الكريم ، أكثر تفوقاً على أقرانهم في جميع مراحل التعليم ، يدعم ذلك أمور عدة ، منها :

١- أن حفـــظ القـــرآن الكريم يهذب النفس ، ويصرفها عن كل ما قد يشـــغل الذهن من محرمات وتوافه ، والاستقرار النفسي ، جزء لا ينفصل عن القدرات الذهنية .

٢- حفظ القرآن الكريم يقوي الذاكرة وينمي القدرة على التأمل والتفكير المنظم .

٣- دعوة القرآن الكريم إلى طلب العلم النافع المقترن بالعمل أكثر تأثيراً في نفوس حفظته ، وأكثر حافزاً للتفوق .

---

(١) « بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو » .

٤- حفظ القرآن الكريم ، يضاعف الثروة اللغوية للطالب ويقوم اللسان ، ويحسن القدرة على التعبير ، وهو ما ينعكس على مستواهم التعليمي بشكل إيجابي .

٥- حفظة القرآن الكريم هم الأكثر تفوقاً في مجال العلوم الشرعية ، التي يعد حفظ القرآن شرطاً لها .

٦- حفظ القرآن الكريم من خلال المدارس والحلقات ينظم وقت الطالب والطالبة ، ويفتح أبواب المنافسة المشروعة في الحفظ والتفوق العلمي معاً .

ولا شكّ أن التعريف بهذه الأمور ، وتقديم الأدلة العملية والعلمية على صحتها يسهم في التغلب على تأثير هذه الحملات التي تستغل رغبة الآباء والأمهات في تفوق الأبناء العلمي ، وتوفير كافة الضمانات ، والعوامل المحققة لذلك ، كما أن التعريف بفضل حفظ القرآن الكريم ، ودعم مناشط تحفيظه كفيل بإزالة أي تأثير سلبي لهذه الحملات ، فيما يتعلق بدعم أهل الخير والمحسنين لجمعيات ومدارس التحفيظ .

المبحث السادس

إنجازات جمعيات ومدارس التحفيظ

ترد على المشككين

تسليماً بوعد الخالق - جل وعلا - بحفظ القرآن الكريم في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1] ، وطلباً للخيرية التي وعد بها الرسول ﷺ في الحديث الشريف : « خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمَه » [2] ، تأتي إنجازات جمعيات ومدارس التحفيظ في جميع مناطق المملكة أبلغ رد على كلّ من يحاول التشكيك في القرآن الكريم ، أو مناشط تحفيظه ، وأعظم وسيلة لتعميم الخيرية لتشمل المجتمع بأسره ، وبُشْرَى بفشل أيّة محاولات خبيثة لصرف أمة الإسلام عن كتاب ربها ، ومنهاج شريعتها ، ومصدر عزِّهَا .

وليس أدلّ على نجاح هذه الجمعيات في أداء رسالتها في إشاعة الخيرية من خلال خدمة القرآن الكريم وإشاعة حفظه منْ تزايد أعداد الدارسين بها عاماً بعد عام ، كذلك ازدياد أعداد المعلمين والموجهين والموظفين العاملين بهذه الجمعيات عاماً بعد عام ، ومعظمهم تخرج في حلقات ومدارس التحفيظ قبل أن يعملوا فيها .

التقارير الإحصائية تؤكد بالأرقام ضخامة الإنجازات التي حققتها جمعيّات ومدارس التحفيظ ، والتي تجعلها بحق محاضن خير لإيجاد حفظة القرآن الكريم في جميع مناطق المملكة .

حلقات التحفيظ : يبلغ عدد جمعيات التحفيظ (١٣) جمعية رئيسة في جميع مناطق المملكة ، بينما يبلغ عدد حلقات التحفيظ والدور النسائية التابعة لها وفق إحصائيات عام (١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ) (٢٤,٤٥٠) حلقة وداراً نسائية ، يبلغ عدد الدراسين بها (٥٠٣,٤١٣) دارس ودارسة ، وقد أتم حفظ كتاب الله العزيز من هؤلاء الدارسين خلال عام (١٤٢٤/ ١٤٢٥هـ) (٦,٣٨١) طالباً وطالبة ، بينما بلغ عدد الطلبة

---

(١) (الحجر : ٩) .

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٨) .

والطالبات الذين يحفظون خمسة أجزاء فأكثر من القرآن الكريم خلال الفترة نفسها (١٠٥,١٠٣) من الدّارسين في هذه الحلقات .

ويبلغ إجمالي عدد المدرسين العاملين في الحلقات والمدارس التابعة لجمعيات التحفيظ في جميع مناطق المملكة ما يقرب من (٢٠,٩١٩) معلم ومعلمة و(١٦٤٧) موجهاً وموجهة و (٤١٢٦) موظفاً وموظفة .

وتتنوع مناشط وجهود الجمعيات الخيرية للتحفيظ ما بين الحلقات والفصول النسائية بالمساجد وصولاً إلى الحلقات التي تشرف عليها الجمعيات الخيرية بالتعاون مع المؤسسات والمصالح الحكومية ، مثل حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالسجون والبالغ عدده (٢٧٠) حلقة ، يستفيد منها أكثر من (٨٣١٠) من السجناء رجالاً ونساءً ، وبلغ عدد السجناء الذين أتموا بها حفظ القرآن الكريم كاملاً خلال العام الماضي (٢٢٥) حفاظ ، بينما زاد عدد من يحفظون خمسة أجزاء فأكثر على (١٤٦٠) من السجناء الذين يدرسون بها . كذلك الأمر في حلقات الدفاع المدني والبالغ عددها (١١٨) حلقة، يدرس بها (٢٠٨٢) بينما بلغ عدد الخاتمين للقرآن الكريم كاملاً (٤١) دارساً، وتجاوز عدد الحافظين لخمسة أجزاء فأكثر (١٢٠) دارساً خلال نفس المدة [١] .

(١) « التقرير الإحصائي للمجلس الأعلى لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم لعام ١٤٢٤هـ/ ١٤٢٥هـ » .

الجدول يبين إجمالي عدد الحلقات والدور النسائية التابعة لجمعيات التحفيظ في جميع مناطق المملكة خلال عام (١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ) .

م	المنطقة	الجنس	عدد الحلق	عدد الطلاب	الحافظون	
					القرآن كاملاً	خمسة أجزاء فأكثر
١	الرياض	ذكور	٥٠٥٥	٧٦٩٧	٨٨٠	٢١١٢١
		إناث	٢٦٧٦	٦٠٧١٢	٢٢٨	٥٠٦٠
٢	مكة المكرمة	ذكور	٣٣٧٢	٧٧٤٨٩	٢٥٧١	٢٧٤٨٨
		إناث	٢٤٥٢	٥١٨١٠	٣٨٢	٦٩٥١
٣	المدينة المنورة	ذكور	٨٤٨	٢٣٠٢٩	٢٦٩	٣١٧٤
		إناث	٦٨٩	١٦٥٢٠	٨٣	٥٧٥٤
٤	القصيم	ذكور	١١١٤	٢١٥٣٠	٣٠٤	٤٤٧٥
		إناث	٧٧٨	١٣٢٠٥	١٢٨	٣١٥٣
٥	الشرقية	ذكور	١٢٢٢	٢٤٤٩٥	٢٠٧	٣٥٥٣
		إناث	١٠٣٤	٢١٧٣٢	١٢٠	٢١٧٥
٦	عسير	ذكور	٩٧٩	٢٣٥٧١	٢٩٨	٦٩٦٣
		إناث	٣٠٥	٩٦٣٠	٤٤	١٢١٥
٧	تبوك	ذكور	٤٦٧	١٠٣٢٤	٧٩	١٩٠٩
		إناث	٢٨١	٦٨١٩	٣٠	٧٢٥
٨	حائل	ذكور	٢٦١	٦٢٢٩	٦٦	٨٢٢
		إناث	٨٠	١٨١١	٥	١٤٦
٩	الحدود الشمالية	ذكور	١٥٨	٣٤١٩	٥٩	١٠٠٣
		إناث	١١١	٢٠٢٣	١١	٤٠٧
١٠	جازان	ذكور	٧٣٥	١٥٠٨٥	٩٤	١٧٨٥
		إناث	٥٣١	٩٥٣٤	٢٥	٩٢٨
١١	نجران	ذكور	١٨٥	٤٠٠٧	٣٢	٥١٩
		إناث	٦٤	١٣٩٠	١٠	٢٠٣
١٢	الباحة	ذكور	٤٩٤	٩٤٤٩	٨١	٢٤١٩
		إناث	١٦٠	٣٤١٤	٢١	٧٣٣
١٣	الجوف	ذكور	١٥٦	٣٥٨٩	٧٤	١٢٥٥
		إناث	٧٥	١٧٩٠	٨	٢٩٠
١٤	المدرسة الصالحة بحريملاء	ذكور	١٧	٣٥٥	٨	١٦٧
		إناث	٢٠	٤٠٩	٢٠	٢٣٤
١٥	المركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالرياض	ذكور	١٥	٥٥٨	٦	٦٥
		إناث	٤٢	١٤٢٢	١٢	٣٥٠
١٦	الدراسات القرآنية للبنات	إناث	٣٤	٦٥٦	٢٢٦	٦١
	الإجمالي	ذكور	١٥٠٨٧	٣٠٠,٠٣٦	٥٠٢٨	٧٦٧١٨
		إناث	٩٣٧٢	٢٠٣,٣٧٧	١٣٥٣	٢٨٣٨٥
		المجموع	٢٤٤٥٠	٥٠٣,٤١٣	٦٣٨١	١٠٥١٠٣

وتبذل الجمعيات الخيرية للتحفيظ جهوداً كبيرة في تنظيم الدورات التدريبية والتعليمية للدارسين بها من الذكور والإناث ، وبلغ عدد هذه الدورات خلال العام (١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ) (٢٣٢) دورات تدريبية وتعليمية ، شارك فيها أكثر من (٢٣,٥١٢) من الدارسين والدارسات ، بالإضافة إلى الجهد المتميز للجمعيات الخيرية في تعليم الكبار ، ويقدر عدد الحلقات والدور النسائية التابعة لجمعيات التحفيظ التي تقدم خدماتها للكبار بـ (٤٩٠١) حلقة ، يدرس بها (١٠١٢٧٧) من الرجال والنساء ، وبلغ عدد من أتموا حفظ القرآن الكريم كاملاً من الكبار (٣٢٤٠) حافظاً ، بينما بلغ عدد حلقات تلقين الصغار أكثر من (٣٣٢١) حلقة ، يدرس بها (٧٢,٨٤٥) طفل وطفلة .

والمتتبع لإنجازات الجمعيات الخيرية للتحفيظ يلحظ تطوراً كمياً وكيفياً في مخرجاتها من حفظة القرآن الكريم عاماً بعد عام ، ومثال ذلك زيادة عدد فروع الجمعيات حيث بلغ عددها (١٠٧) فرعاً. وفي عدد الحلق والفصول النسائية حيث بلغت (٢٤٤٥٠) حلقة وفصلاً، بزيادة (٤٥٠١) حلقة وفصلاً، بنسبة ٢٣%، كذلك زيادة عدد الطلبة والطالبات الدارسين بها ، بنسبة (١١ %) ، بينما زاد عدد من أتموا حفظ القرآن الكريم بنسبة زيادة (٢٧ %) ، كذلك بلغت نسبة الزيادة في المدرسين السعوديين العاملين في هذه الجمعيات بنسبة (٢٦ %) عما كانت عليه عام (١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ) ، وتؤكد هذه الإحصائيات أن الجمعيات الخيرية للتحفيظ تسير

بخطى ثابتة ، وتحتاج إلى مزيد من الدعم والتشجيع لتعظيم إنجازاتها في خدمة القرآن الكريم .

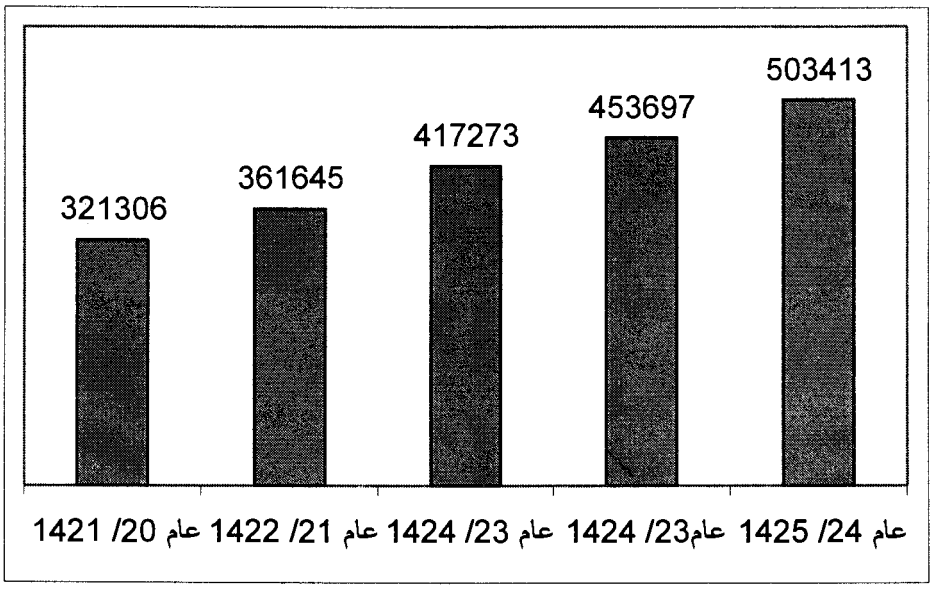

رسم بياني يوضح زيادة أعداد الدارسين في جمعيات التحفيظ
من عام (١٤٢٠- ١٤٢٥/٢٤هـ)

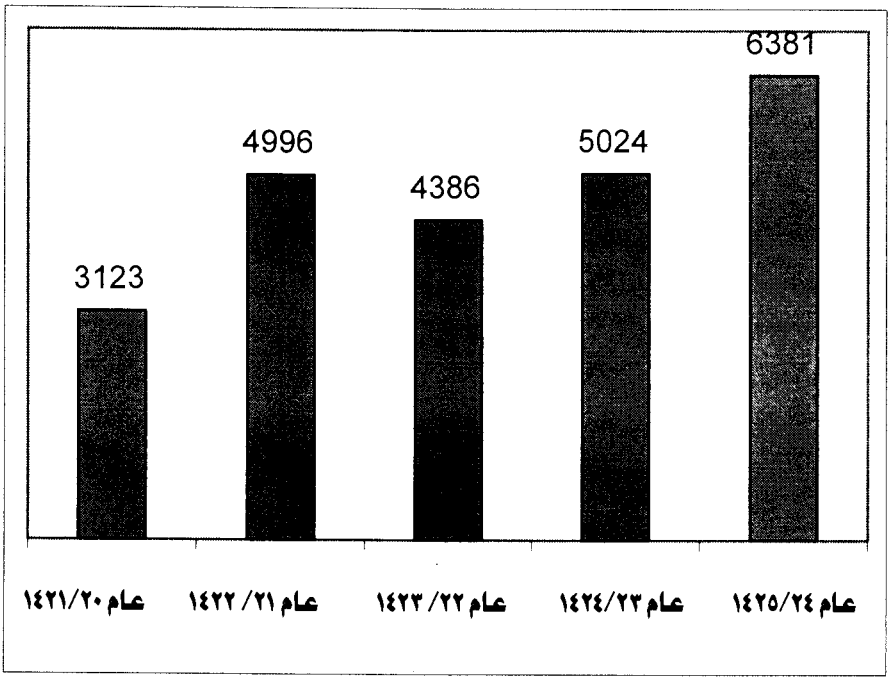

رسم بياني يوضح عدد الطلاب الذين أتموا حفظ القرآن الكريم كاملاً بجمعيات التحفيظ من عام (١٤٢٠- ٢٣/١٤٢٤هـ)

الجنس	عدد الحلق والفصول	عدد الطلبة	الحافظون للقرآن كاملا	خمسة أجزاء فأكثر
ذكـــــــــــور	%٢٧	%١١	%٢٦	%٤١
إنـــــــــــاث	%١٧	%١١	%٣١	%٢٦
نسبة الزيادة في المجموع	%٢٣	%١١	%٢٧	%٣٧

جدول يوضح النسبة المئوية لزيادة نشاطات التحفيظ خلال عام (١٤٢٥هـ) مقارنة بعام (١٤٢٤هـ)

مدارس التحفيظ :

تشـــرف وزارة التربية والتعليم على مدارس تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة للبنين والبنات ، والتي تقوم بدور عظيم لا يقل عن دور الجمعيات الخيرية في مجال العناية بالقرآن الكريم في مناطق المملكة .

ووفقاً لإحصائية الوزارة لعام (١٤٢٤ - ١٤٢٥هـــ) يبلغ عدد مدارس التحفـــيظ الحكومية والأهلية للبنين (٧٢٢) مدرسة للبنين ، منها (٣٥) مدرســـة أهلـــية ، ويـــبلغ عدد طلاب مدارس التحفيظ (ابتدائي ومتوسط وثانوي) (بنين) (٨٣,١٦٦) طالباً .

أمـــا عدد مدارس تحفيظ القرآن الكريم للبنات في جميع المراحل الابتدائية والمتوســـطة والثانوية فيبلغ (٧٦٩) مدرسة ، منها (٣٨) مدرسة أهلية ، يدرس بها (٨٩,٩٧١) طالبة .

والجـــدول الـــتالي يوضـــح عدد مدارس تحفيظ البنين والبنات الحكومية والأهلية وعدد الطلاب والطالبات بها في كل مرحلة :

البيان	المرحلة الابتدائية	المرحلة المتوسطة	المرحلة الثانوية	الإجمالي
عدد مدارس البنين	٤٠١	٢٢٧	٩٤	٧٢٢
عدد الطلاب	٥٩٤٦٢	١٨٤٧١	٥٢٣٣	٨٣١٦٦
عدد مدارس البنات	٤٦٤	١٨٩	١١٧	٧٦٩
عدد الطالبات	٦٥١٠٨	١٦٦٩٧	٨١٦٦	٨٩٩٧١

وبالـــنظر إلى هـــذا العدد الضخم من مدارس وجمعيات التحفيظ وعدد الدارســـين بهـــا ، والذي يقدر بمئات الألوف الذين يتخرجون فيها سنوياً ، نستطيع الوقوف على الخير الكبير ، الذي تحققه هذه المدارس والجمعيات ليس فقط من حيث تخريج الحفظة والحافظات ، رجال ونساء المستقبل بمشيئة الله ، لكن في حماية المجتمع من مخاطر أيّ انحراف فكري أو أخلاقي ، فحفظة القرآن الكـــريم هم الأكثر قدرة من غيرهم على مواجهة المُحْدَثَات والبدع ، والأقلّ عِرْضَةً للتأثر بأي أفكار أو دعاوى هَدّامة .

ولعلّ هذه الميزات التي يتمتع بها حفظة القرآن الكريم في الدنيا ، بالإضافة إلى ثوابهـــم في الآخـــرة ، هـــو ما دفع أعداء الإسلام إلى استهدافهم بسهام حقدهم ، واستهداف حلقاتهم ومدارسهم ، ليحرموا الأمة الإسلامية من هذا الخير المعقود بنواصي فرسان القرآن الكريم .

كذلك إضعاف قدرة المجتمع الإسلامي على الدفاع عن دينه وعقيدته من المفـــرطين أو الغلاة أو المتطرفين ؛ حيث إن استهداف حَمَلَةِ القرآن الكريم ، وتهميشـــهم يعطـــي أصحاب البدع والأهواء من المفسدين والضالين مساحة أكبر للتأثير والتحرك ، وتخريب المجتمع ولا سيما بين الناشئة والشباب .

وهذا هو الدرس الذي يجب أن نستوعبه جميعاً فحفظة القرآن هم الأكثر قـــدرة عـــلى تفنيد دعاوى الغلو والتطرف ، بنفس القدرة على تصويب أي انحراف أخلاقي أو سلوكي يصيب بعض أبناء المجتمع .

والأحـــداث الأخيرة وما تعرضت لـــه بلادنا المباركة من أعمال تخريبية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن الكريم هو درع الأمة الواقي وحصنها

الحصين ، الذي تتكسر أمامه دعاوى المتشددين أو المفرطين ، وأن نصوص القرآن الكريم الواضحة في رفض الإرهاب والغلو والإفساد هي أنجح ما يجب الاستشهاد به في الرد على الغلاة أو المشككين .

ولا يغيب عن الذهن التفاعل الكبير الذي قامت به الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم مع الأحداث الآثمة التي تعرضت لها بلادنا الغالية ؛ حيث قامت وفودٌ من طلبة الحلقات بزيارة المصابين في التفجيرات الحاقدة معلنين رفضهم لها ووقوفهم مع قوات الأمن وأبناء المجتمع وأنهم جنود للوطن ، ومؤكدين تضامنهم مع الجميع ؛ لرد كل عدوان يستهدف أمن البلاد من أي شخصٍ كائناً مَنْ كان ، وأنهم يرفضون كل فِكْرٍ منحرف باسم الدين أو غيره .

وقد كانت مبادرات جميلة ، ونحن نرى مسؤولي الحلقات والجمعيات والدور وهم يتواصون بزيارة المصابين ورفض هذه الأعمال الإجرامية ، فهل يعقل أن يفعل ذلك من يُعَلِّم الإرهاب أو يمارس التطرف ؟ ألا ساء ما يحكمون ؛ وكم تمنينا أن يُسَلّطَ الإعلامُ أضواءَه على تلك الوفود والمبادرات غير المستغربة ؛ لأنها من أبلغ الردود على دعاوى المناوئين .

توصيات

في ضوء هذا الرصد التحليلي ، والدراسة الميدانية الاستطلاعية لتاريخ وواقع الحملات المعادية للقرآن الكريم ومناشط تحفيظه ، وما تتعرض له جمعيات ومدارس التحفيظ بالمملكة من اتهامات باطلة بتفريخ الإرهاب وترسيخ التطرف والغلو ، وبالاسترشاد بآراء عدد كبير من العلماء والأكاديميين والمشرفين والتربويين ، ورجالات وقيادات تعليم البنين والبنات الذين ندين لهم بالشكر - أمكننا الوصول إلى عدد من التوصيات التي نأمل أن تشكل في مجملها استراتيجية عامة ذات آليات عملية لتفعيل دور جمعيات ومدارس التحفيظ ، لأداء رسالتها تجاه القرآن الكريم، والمجتمع عموماً ، ومضاعفة قدرتها على مواجهة حقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

وتشمل هذه التوصيات الآتي :

أ - توصيات لجمعيات ومدارس التحفيظ ، وهي :

١- صياغة رؤية منهجية ثابتة وواضحة لآليات العمل بجمعيات ومدارس التحفيظ والتعريف بها على أوسع نطاق .

٢- انـــتقاء أفضل العناصر المؤهلة للتدريس بمدارس وجمعيات التحفيظ ، والتأكد من توافر الشروط والصفات اللازمة في معلم القرآن الكريم من حيث صحة المُعْتَقَد ، وإخلاص النية ، وسلامة المنهج ، والاتزان النفسي .

٣- وضع استراتيجية دائمة لتدريب المعلمين والمشرفين والإداريين العاملين بحلقات ومدارس التحفيظ على أفضل طرق تدريس القرآن الكريم ، والتعريف بالتحديات التي تتعرض لها الأمة .

٤- تفعـــيل الجانـــب الدعوي والتوعوي ضمن برامج جمعيات ومدارس التحفيظ .

٥- الاهـــتمام بتدريس علوم التفسير والفقه ، والسنة النبوية المطهرة إلى جانب مناشط التحفيظ لإغلاق الباب أمام التفسيرات والتأويلات المغلوطة مع التركـــيز على موقف الإسلام الرافض للإرهاب والتطرف ، والاستدلال على ذلك بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٦- ضـــرورة تأهـــيل جمـــيع الجمعيات والمدارس للاستفادة من تقنيات المعلومـــات والاتصـــالات في مجال تحفيظ القرآن الكريم ، والرد على ما يثار ضدها من شبهات وأباطيل .

٧- تحقـــيق أكـــبر قـــدر ممكن من الترابط مع المجتمع المحيط بالجمعية أو المدرســـة للتعريف بالجهود المبذولة داخل الجمعيات ، وكذلك تفعيل الدور الاجتماعي والتربوي داخل المجتمع المحيط .

٨- التواصـــل والتعاون بين الجمعيات والمدارس للاستفادة من التجارب الـــناجحة وإيجاد آلية عامة للعناية بالقرآن الكريم ، واجتذاب أكبر عدد من الدارسين .

٩- التدقـــيق وإعـــادة النظر في مواعيد الدراسة بحلقات التحفيظ بما لا يتعارض مع مواعيد الاختبارات المدرسية ، وتكريم الطلاب المتفوقين في الحفظ والتحصيل العلمي .

١٠- ضـــرورة عقد ملتقيات دورية لرؤساء الجمعيات تدعى إليها جميع الهيئات والجهات المعنية بتدريس القرآن الكريم وعلومه وبمشاركة الأكاديميين والمهتمين بهذا المجال .

١١- وضع خطة إعلامية مركزة لظهور القائمين على جمعيات ومدارس التحفيظ بصورة أكبر فاعلية في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية ، على أن يتولى تزويد وسائل الإعلام بما يحتاجه من معلومات والرد على كل ما يثار من افتراءات ، ويعدّ رجال مؤهلون لذلك .

ب - توصيات عامة :

١- الحـــذر من الانسياق أو التأثر بالدعاوى المعادية لجمعيات ومدارس التحفيظ والتي تحركها أحقاد خبيثة ضد الإسلام والمسلمين .

٢- الوعـــي بأن الدفاع عن جمعيات ومدارس التحفيظ ، هو دفاع عن القرآن الكريم وهذا البلد المبارك .

٣- إعـــلان رفض أية دعاوى للتشكيك في خيرية مناشط تحفيظ القرآن

الكريم ، وبيان أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ونبذ الغلو .

٤- تفعيل جهود الدعم الحكومي والأهلي لجمعيات ومدارس التحفيظ وتكريم الجمعيات المتميزة .

٥- إيلاء مزيد من الاهتمام لبيان عدم تعارض الانتظام في حلقات ومدارس التحفيظ مع جودة التحصيل العلمي للطلاب .

٦- التعريف بفضل حفظ القرآن الكريم ، ودعم مناشط التحفيظ بالجهد والمال .

٧- تفعيل الجهود الإعلامية الموجهة للآباء والأمهات وعموم المجتمع للتعريف بخيرية جمعيات ومدارس التحفيظ ، وتفنيد الاتهامات الموجهة إليها .

٨- العمل على زيادة أعداد الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، وتوسيع نشاطها من أجل تحصين ناشئة الأمة ، وحفظ شرائح المجتمع وشغله بالقرآن الكريم تعلماً وتعليماً وتربية وتوجيهاً .

٩- وضع آليات مرنة وسريعة للاستفادة من الأوقاف الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم أو ريعها ، وكذلك الأوقاف الموقفة على مناشط المساجد بحيث يستفاد منها في دعم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

١٠- العمل على استحداث آليات ووسائل لتعاون جميع مؤسسات القطاع الحكومي ، ودعمها لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة ، وبخاصة وزارة التربية والتعليم ، حيث التكامل في العملية التعليمية والتربوية للطلاب .

١١- التعامل مع الطالب باعتباره محور العملية التعليمية وفقاً للنظم الحديثة ، وضرورة العمل على تحويله من مُتَلَقٍّ إلى متفاعل ، مع التأكيد على

أهمـــية العناية بالجوانب التربوية للطلاب ، والتشجيع على جوانب الإبداع ، والعمل على إيجاد حلقات وبرامج متميزة ونموذجية ، وتحسين مستوى معلمي التحفـــيظ مـــن الناحية الشرعية والثقافية والتربوية ، وتوعيتهم بالمستجدات الحضـــارية ، وتهيـــئة الفرص المناسبة لهم للتدريب والتطوير ، والتشجيع على جوانب الإبداع .

١٢- العمـــل على شمولية خدمات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم لتشمل جميع شرائح المجتمع وفئاته ، ووضع البرامج المتنوعة لإتاحة فرصة تعلم القرآن الكريم ، وحفظه ، ليشمل جميع فئات المجتمع ، بالإضافة إلى العمل على تفعيل بـــرامج ومشـــروعات الأوقـــاف الدائمة للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، والاستفادة من الأعداد الكبيرة من خريجي هذه الجمعيات في مجالات العمل الدعوي ، والتعليمي ، بما يتفق مع توجهات الدولة في مجال السعودة ، وتوفير فرص عمل للشباب السعوديين .

في ضوء هذه التوصيات يتضح لنا أنّ ردّ هذه الاتهامات المعادية للقرآن لا يمكـــن أن يكـــون بحال من الأحوال مسؤولية فئة بعينها ، كإدارات جمعيات ومدارس التحفيظ ، بل هو مسؤولية جماعية ، تصل إلى حدّ أن تكون واجباً شـــرعاً ، للذبّ عن كتاب الله العزيز ، فالعلماء مطالبون ببيان رفض الإسلام للإرهـــاب والغلو والتنطع ، وعرض وتفسير آيات القرآن الكريم التي تؤكد ذلـــك ، مع الاهتمام بمواجهة وتصحيح التفسيرات غير الواضحة أو المخالفة للمنهج السلفي الراشد لبعض الآيات التي يستند إليها الغلاة والمتشددون .

والتربويون ورجال التعليم مطالبون ببيان عدم صحة ما يشاع عن تعارض

حفظ القرآن الكريم مع التحصيل والتفوق العلمي ، كذلك بيان الأثر الإيجابي الكبير لحفظ القرآن الكريم في تهذيب النفس وتقويم السلوك ، واستغلال أوقات الفراغ في أشرف الأعمال ، بالإضافة إلى الفوائد الأخرى مثل تقوية ملكات الحفظ والتذكر والاسترجاع وغيرها ، وكذلك التعاون مع جمعيات ومدارس التحفيظ في وضع أفضل طرق وأساليب التحفيظ بما يتناسب مع قدرات الطلاب .

ووسائل الإعلام مطالبة بإلقاء الضوء على جهود الجمعيات والحثّ على دعمها ، ودفع الأبناء إليها ، وإفساح مساحات فيها لهذا الغرض .

والأسرة أيضاً تتحمل مسؤوليتها في ترسيخ مكانة القرآن الكريم في نفوس الأبناء في الصغر ، وحَثّهم على حفظه وتدارسه ، والاجتهاد في ذلك .

وخلاصة القول : إنها مسؤولية المجتمع المسلم بأسره ، حتى نستحق الخيرية التي وصف بها الرسول ﷺ من تَعَلَّم القرآن وعلَّمه .

الخاتمة

يظل القرآن الكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها محفوظاً بحفظ الله ، أسمى من أن تنال منه أيدي العابثين أو حقد الحاقدين ، الذين أعجزهم القرآن الكريم بشموليته وبلاغته ، كما أَعْجَزَ مِنْ قَبْلُ فصحاءَ العرب ، وكما سيعجز - بإذن الله - أباطرة العلم ، وأقطاب المعرفة ، وواضعي النظم ، في كل العصور اللاحقة .

وهذا الوعد الذي قطعه الله - سبحانه وتعالى - على نفسه بقوله - جل شأنه - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1] ، يجعلنا جميعاً على ثِقَة ويقينٍ بأنَّ جميع الحملات التي يشنها أعداء الإسلام ضد القرآن الكريم وأهله والمؤسسات العاملة في مجال تحفيظه ونشره مصيرها الفشل ، شأنها في ذلك شأن كل المكائد التي حاكها أعداء الإسلام ضد القرآن الكريم منذ أن هبط جبريل - عليه السلام - بالوحي وحتى الآن .

ولكن السؤال المهم هو : هل سنكون نحن ممن كتب لهم شرف خدمة القرآن العظيم ، والدفاع عنه ، وعن علومه ، ومدارسه ، أم سنكون من المتخاذلين الذين يلفظهم التاريخ وينساهم كما نسي ملايين البشر أمثالهم ؟ أما من المناوئين فإنهم وإن كتبت أسماؤهم ودونت أعمالهم فَلْتَتَوالى عليهم عبارات

---

(١) (الحجر : ٩) .

التقبيح والدعاء ، وليكن يوم القيامة شاهداً عليهم بما جنت أيديهم على أنفسهم وعلى البشرية جمعاء .

والمتأمل في أحداث التاريخ ووقائعه يدرك أن الحملات العدائية التي تتهم جمعيات ومدارس التحفيظ في بلادنا بتفريخ الإرهاب ، وترسيخ الغلو والتطرف ما هي إلا تنويع عصري لتلك الحملات القديمة التي شنَّها اليهود والنصارى وأذنابهم من العلمانيين والملاحدة ، في محاولة خبيثة للاستفادة من « موجة » الحرب الدولية ضد الإرهاب وأخطاء بعض المحسوبين على الإسلام - مع قلتهم - ممن ضلوا ، وأضلوا ، واقترفوا أعمالاً إرهابية ، تخالف مقاصد شريعتنا السمحة ، ووسطيتها التي جعلتها رحمة للعالمين ، وما أشبه اليوم بالبارحة .

ويبقى القرآن الكريم محفوظاً في صدور الموصوفين بالخيرية الذين يحفظون القرآن الكريم ويُحَفِّظُونه وبأن يكونوا من أهل الله وخاصته .

وتبقى مسؤوليتنا - نحن المسلمين - بذل كل جهد ممكن للدفاع عن القرآن الكريم ، ودعم مناشط تحفيظه بالجهد والمال ، كل في حدود استطاعته لتعمّ بلادنا الخيرية ، وننعم ببركة القرآن الكريم ، الذي لا رِفْعَةَ ولا رُقِيَّ لنا إلاّ بالاعتصام به، والتمسك بتعاليمه للنجاة من الفتن، والفوز في الدنيا والآخرة .

نسأل الله أن ينفعنا ببركة القرآن الكريم ، وأن ننال جميعاً خيرية حفظه وتحفيظه .

والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

- أثـــر القـــرآن الكريم في الأمن النفسي ، ناهد عبد العال الخراشي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة .
- أثـــر الالـــتحاق بجماعـــة تحفيظ القرآن على التحصيل الدراسي في مادة التفسير للصف الثالث المتوسط ،عبد الله بن أحمد الغامدي ، جدة .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم ، ت محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- الاستشراق والمستشرقون ، د. مصطفى السباعي .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي .
- بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو ، مكة المكرمة ١٤٢٤هـ .
- الـــبداية والـــنهاية ، لابن كثير ،تحقيق د . عبد الله التركي ، ط هجر ، ١٤١٩هـ القاهرة .
- التبيان في آداب حملة القرآن .
- تحـــت رايـــة القـــرآن ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، السابعة ، ١٩٩٤م .

- التقرير الإحصائي للمجلس الأعلى لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم لعام ١٤٢٤/١٤٢٥هـ الرياض .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، دار التراث ، القاهرة .
- تلاوة القرآن المجيد ، للشيخ عبد الله سراج الدين .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي ، قدم له الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- جائزة الأمير سلمان عطاء ونماء ، سلمان بن محمد العُمري ، الأولى ، الرياض ، ١٤٢٤هـ .
- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ١٣٨٨هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، دار الشعب ، القاهرة .
- دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، القاهرة .
- صحيفة الرياض العدد ١٢٤١٠ ، تاريخ ١٤٢٣/٤/٥هـ .
- صحيفة الرياض ، العدد ١٢٤١٩ ، تاريخ ١٤٢٣/٤/١٤هـ .
- صحيفة الرياض ، تاريخ ١٤٢٣/٣/١٨هـ .
- الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر ، بيروت .
- العلاقة بين حفظ القرآن الكريم ومهارات القراءة والكتابة للصف الرابع الابتدائي ، وضحى علي السويدي ، قطر .

- الغـــزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، للدكتور علي عبد الحليم محمود ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، الأولى ، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م .
- فتح القدير ، للشوكاني .
- الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم ، الأدبية ، القاهرة ، ١٣٢٠ هـــ .
- الفوائـــد ، لابـــن القـــيم ، دار الكتـــب العلمـــية ، بيروت ، الثانية ، ١٣٩٣ هـــ - ١٩٧٣م .
- قراءة ، د. محمد سالم بن شديد العوفي ، جريدة الجزيرة ، العدد ١١٦٩٨ ، تاريخ ١٤٢٥/٨/١٥هـــ .
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بكاي ، دار المعارف ، القاهرة .
- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير .
- كوكـــبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ، الأولى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٣هـــ .
- لسان العرب ، لابن منظور ، ط صادر ، بيروت .
- لســـان المـــيزان ، لابـــن حجر ، ت عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الأولى ، ١٤٢٣ هـــ .
- مجمـــوع فـــتاوى شـــيخ الإسلام ابن تيمية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـــ - ١٩٩٥م .
- مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، القاهرة .

- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
- منهج التربية النبوية للطفل ، محمد نور سويد ، دار ابن كثير ، السادسة ، دمشق ، ١٤١٧هـ .
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، محمد صالح البنداق .
- المستشرقون والإسلام ، د. إبراهيم اللبان ، مجلة الأزهر ، ١٩٧٠م .
- الملل والنحل ، الشهرستاني ، ١٣٨٧هـ .
- موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن أبي داود ، جامع الترمذي ، سنن النسائي الصغرى ، سنن ابن ماجه ، بإشراف ومراجعة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ ، دار السلام ، الرياض ، الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- موقف الغرب من الإسلاميين ، د. هشام العوضي ، القاهرة .
- النكت والعيون ، الإمام الماوردي ، ت السيد بن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٢هـ .
- الوابل الصيب من الكلام الطيب ، لابن القيم ، ت محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

المحتوى

- إهداء ٥
- تقديم ٧
- المقدمة ١٣
- المبحث الأول: فضل القرآن الكريم وأثره في حياة المسلم ١٩
- المبحث الثاني:دلائل العناية بالقرآن الكريم في بلاد الحرمين الشريفين .. ٢٩
- المبحث الثالث: حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم أهميتها ودورها في المجتمع ٤٥
- المبحث الرابع: حملات الهجوم على القرآن بين الماضي والحاضر ٦٩
- الإساءة للقرآن في بلاد الإسلام ١٠٦
- المعتزلة أول من أساؤوا للقرآن ١٠٧
- الباطنية وإساءة تفسير وتأويل القرآن الكريم ١١١
- المبحث الخامس: حملات الهجوم على جمعيات ومدارس التحفيظ أسبابها .. أهدافها .. تأثيرها .. آليات الرد عليها .. دراسة ميدانية استطلاعية .....
- ما صحة اتهام حلقات ومدارس التحفيظ بترسيخ الإرهاب ؟ ١٣١
- المبحث السادس: إنجازات جمعيات ومدارس التحفيظ ردٌّ على المشككين ١٤١

- توصيات ١٥٢
- الخاتمة ١٥٨
- المصادر والمراجع ١٦٠
- المحتوى ١٦٥